مسرحيات شكسبير

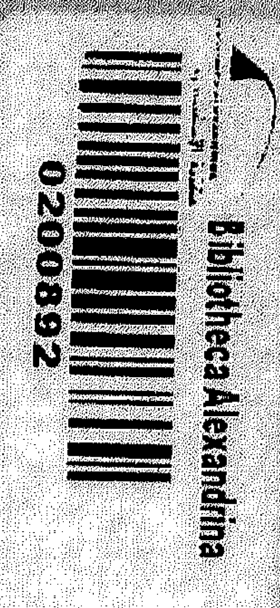
جامعة الدول العربية

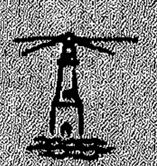
الإدارة الثقافية

الملك چون

ترجمة

الدكتور محمد عوض محمد





حياة الملك چون

ووفاته

ولد چون بن هنرى الثانى ملك إنجترا فى عام ١١٦٧ ، ومات فى عام ١٢١٦ . وقد ترك هنرى الثانى خمسة أبناء أكبرهم وأشهرهم ريتشارد « قلب الأسد » قائد الحروب الصليبية المعروف ، وهو الذى تولى الملك بعد وفاة أبيه هنرى الثانى .

ولم يكن لريتشارد ولد شرعى يرثه . ولذلك كان نظام التوريث ، يتجه بعد ريتشارد إلى أخيه جوفرى ، الذى توفى فى حياة أخيه ، وترك ولداً من زوجته الفرنسية كنستانس ، وهذا الولد هو الغلام الظريف آرثر ، الذى يطالع القارئ مأساته فى الفصل الرابع من هذه المسرحية .

كان آرثر الصغير إذن هو الوريث الشرعى لقلب الأسد ؛ وقد أوصى ريتشارد فعلا قبيل سفره إلى الأرض المقدسة بأن يخلفه هذا الغلام . . وعاد ريتشارد من حروبه الصليبية ، وقضى بقية عمره فى معالجة شئون مملكته فى إنجلترا ، الداخلية منها والخارجية . وفى أثناء ذلك ألغى وصيته السابقة ، بتأثير والدته إليانورا ، التى أرادت أن يتولى الملك ابنها هى ، لا ابن تلك المرأة الطموح كنستانس ، فكتب ريتشارد وصية جديدة بتوريث أخيه چون ، وقد ورث الملك فعلا فى عام ١١٩٩ بعد موت ريتشارد .

ولا شك أن ظفر چون بالملك وحرمان آرثر كان مخالفاً للنظام المقرر لوراثة العرش . ولذلك لم تعترف فرنسا بچون . وتولى ملك فرنسا الدفاع عن حقوق الفتى آرثر ، وبهذا الاحتجاج الفرنسى تبدأ المسرحية .

ومع أن هذا الخلاف بين فرنسا وإنجلترة هو الموضوع الأول فى المسرحية ، فإنه ليس الموضوع الواحد ، بل هناك أيضاً سوء العلاقات بين چون وبين البابا ، والنزاع الذى شجر بينه وبين الأشراف فى إنجلترة . . . ومع أن هذه الأمور وملابساتها لم تتحرج كلها فى وقت واحد ، فإن شكسبير كعادته لم يعبأ بالترتيب الزمنى ولم يتقيد بتسلسل الحوادث ، من أجل حرصه على العرض الفنى . والتنسيق القصصى ؛ حتى وصفت مسرحية الملك چون . بأنها أكثر تصرفاً فى التاريخ من أية مسرحية تاريخية أخرى كتبها شكسبير ؛ إذ جمع فيها ، من أجل التركيز الفنى ، حوادث سبعة عشر عاماً فى بضعة أشهر .

* * *

وتعد مسرحية الملك چون من مسرحيات الزمن الأوسط فى تاريخ إنتاج شكسبير ، وقد اتجه أكثر الشراح أول الأمر إلى أنها ألفت حوالى عام ١٥٩٥ ، وأن شكسبير اقتبس موضوعها من مسرحية أخرى تدعى «العهد المضطرب للملك چون» Th Troucblesome Reign of King John وأمكن للشراح أن يقارنوا بين بعض العبارات والمواقف المتشابهة فى المسرحيتين .

ومع أن مسرحية « العهد المضطرب » لم يعرف مؤلفها ، فإن من المعروف أنها طبعت في عام ١٥٩١ فى جزئين . ولذلك ذهب كثير من الشراح إلى أن « العهد المضطرب » هى المرجع الأول ، إن لم يكن المرجع الوحيد ، الذى اقتبس منه شكسبير موضوعه . وهناك تطابق واضح بين المناظر وترتيب الحوادث ، والأشخاص ، فى كلا المسرحيتين ، ومع ذلك فإن مسرحية « العهد المضطرب » ، تعد نتاجاً هزيلا ، إذا قيست إلى مسرحية الملك چون .

لذلك لم يكن بد من أن يتساءل غير واحد من الشراح كيف رضى شكسبير — وبخاصة بعد أن تقدم واشتهر — أن يعتمد على نتاج هزيل لمؤلف معاصر من الدرجة الثانية أو الثالثة ؟ ثم كيف رضى أن يتبع هذا المؤلف ، ويقفو أثره خطوة خطوة فى ترتيب المناظر والمواقف ؟

وقد كان من نتيجة هذا التساؤل أن أخذ الشراح يتعمقون فى البحث عن مصادر أخرى اعتمد عليها الشاعر . فوجدوا ضالتهم فى تاريخ هولنشد Holinshed وفى غيره من المراجع التى سبق أن اعتمد عليها شكسبير فى مسرحياته الخاصة بتاريخ إنجلترة .

لم يكد الباحثون أن يصلوا إلى هذه النتيجة حتى انكشف لهم أن مسرحية « العهد المضطرب » لم تكن أصلا أو مرجعاً بل تقليداً ومحاكاة لمسرحية الملك چون ، اقتبس مؤلفها الموضوع والمواقف ونقلها عن شكسبير ، ولم يأت من عنده إلا بالصياغة المتواضعة التى تناسب مركزه الأدبى .

لم يكد هذا الرأى أن يظهر حتى اكتسب عدداً كبيراً من الأنصار ، وأخذ النقاد يدركون أن هذا الرأى الجديد يوضح كثيراً من الصعوبات التى كانت تكتنف الرأى الأول ، وقد استتبع ذلك تعديلا فى تاريخ تأليف المسرحية ، فاستقر الرأى على أنها ألفت ومثلت فى عام ١٥٩٠ . والظاهر أنها لقيت نجاحاً كبيراً ، حتى اضطرت بعض المسارح المنافسة إلى أن تكل إلى بعض الشعراء أن يحاكيها بسرعة ، حتى يقوم بتمثيلها هو أيضاً ، وهكذا جاءت مسرحية « العهد المضطرب » تقليداً ومحاكاة لمسرحية شكسبير .

ويقال إن السبب فى رواج مسرحية الملك چون ، أن الموضوع مما يروق المجتمع الإنجليزى فى ذلك الزمن ، وأن فى المسرحية شخصيات تجذب الجماهير . مثل شخصية فولكنبردج « الدعى » ، وشخصية الفتى آرثر . كما اشتملت على بعض المواقف المثيرة مثل النزاع بين السيدتين كنستانس أم آرثر واليانورا أم چون ؛ وفوق ذلك امتازت المسرحية بشعر رائق ، وبعدد من القصائد الرائعة ، التى كان الجمهور يتعشقها فى ذلك الزمان .

والظاهر أن مسرحية « العهد المضطرب » لم تلق رواجاً كبيراً ، ولذلك طبعها الناشر ، بعد وفاة شكسبير مباشرة . وجعل مؤلفها هو وليم شكسبير ! وأنها بمثابة « المسودة » التى أعاد صياغتها بعد ذلك وألفها من جديد . ولا حاجة بنا إلى أن نقف طويلا عند هذا الرأى ، الذى لم

بين الناقدين نصير يستحق الذكر .
ـصفوة القول أن مسرحية « الملك چون : حياته ومماته » قد ألفها
ـير حوالى عام ١٥٩٠ وأن المراجع التى اعتمد عليها هى كتابات
ـين وعلى الأخص هولنشد . .
يسيجد القارئ أن مناظر المسرحية موزعة بين إنجلترة وفرنسا ، أسوة
ـده فى غيرها من المسرحيات التاريخية الإنجليزية ؛ وذلك لأن ملك
ـة كان فى ذلك الزمن يملك مقاطعات ومدناً فى جهات مختلفة
ـرنسا . بعضها يرجع إلى العهد النورمندى ، وبعضها مما آل إليه
ـثة نتيجة المصاهرات .

وشخصية الملك چون لم تكن بالشخصية الجذابة . ولذلك يتساءلون
ـ يكون « بطل » المسرحية خالياً من كل خصائص البطولة أو جلها .
ـيقة أن كلمة « بطل » لها معنى آخر ، وهو الشخصية التى تدور
أحداث المسرحية . سواء أكانت شخصيته جذابة أم كانت غير
. فإطلاق اسم الملك چون على المسرحية يبرره تماماً أنه هو المحور
ـ يدور عليه كل ما يجرى فيها . وليس من شأن شكسبير ، وهو
ـ تصوير عصر وأحداث ، أن يخالف جوهر التاريخ بأن يسند إلى چون
ـات ليست له وأعمالا لم يقم بها . وأن يكسبه مجداً لم يكن له منه نصيب .
هذه مقدمة موجزة أردنا بها أن نساعد فى تفهم هذه المسرحية .
محمد عوض محمد

أشخاص المسرحية

الملك چون	: ملك إنجلترة	King John
الأمير هنرى	: نجله الأكبر	Prince Henry
آرثر	: دوق بريتانيا وابن أخى الملك	Arthur
إيرل سالسبورى	:	Sailsbury
إيرل پمبروك	:	Pembroke
إيرل اسكس	:	Essex
لورد بيجوت	:	Bigot
روبرت فولكنبردج	: نجل سير روبرت فولكنبردج	Robert Faulconbridge
فيليب « الدعى »	: أخوه لأمه	Philip
هوبرت	: من أهل بلدة آنجيه	Hubert
چيمس جورنى	: خادم ليدى فولكنبردج	James Gurney
بطرس ألپمفرتى	: متنبئ	Peter
فليب	: ملك فرنسا	Philip
لويس	: ولى عهد فرنسا	Lewis
ليموج	: دوق النمسا	Limoges
ميلون	: لورد فرنسى	Melun

شاتليون	:	سفير ملك فرنسا لدى الملك چون	llon
كردينال پاندولف	:	مندوب البابا	nal Pandulph
الملكة إليانورا	:	أم الملك چون	n Eleanor
كنستانس	:	أم آرثر	tance
بلانش الأسبانية	:	بنت شقيقة الملك چون	he
السيدة فولكنبردج	:	أرملة سير روبرت فولكنبردج وأم رو وأم الدعى	Faulconbridge

لوردات ، والمشرف ، وضباط ورسل ومنادون وحاشية ، وأتباع آخ

المناظر : بعضها فى فرنسا والبعض فى إنجلترة .

الزمن : أوائل القرن الثالث عشر*

* النص الذى اتبع فى هذه الترجمة هو طبعة آردن Arden ، سواء فى ذلك ال الصادرة فى عام ١٩٣٩ والتى صدرت فى عام ١٩٥٤ ، مع الاستعانة بمختلف الشر والتعليقات والمعاجم . أما التعليقات الواردة فى هامش هذه الترجمة ، فقد أضافها المت إيضاحاً لبعض ما خيل إليه أنه فى حاجة إلى إيضاح .

الفصل الأول

المنظر الأول

(بلاط ملك إنجلترة)

(يدخل الملك چون والملكة إليانور ، والأشراف بمبروك واسكس وسالسبورى ، وبعض الحاشية ومعهم شاتليون سفير ملك فرنسا)

الملك چون : نبئنى الآن يا شاتليون . ما الذى يبغيه منا ملك فرنسا ؟

شاتليون : إن ملك فرنسا ، بعد التحية ، يخاطب بلسانى
صاحب الجلالة الإنجليزية ،
تلك الجلالة الزائفة .

إليانور : فاتحة غريبة لعمرى ، الجلالة الزائفة !

الملك چون : صه ، أيتها الأم الطيبة ! وأنصتى لرسالة السفير .

شاتليون : إن فيليب ملك فرنسا ، وهو ينوب نيابة صحيحة
عن آرثر بلانتاجنت ، ابن أخيك المتوفى جفرى ،
يطالب بحقه الشرعى
فى ملك هذه الجزيرة الجميلة ، والأقطار التابعة لها .
أيرلندة وبواتييه ، وآنجو ، وتورين ، وماين ،
ويطلب إليك أن تلقى السيف

الذى تغتصب به هذه الممتلكات ،
وتضعه فى يد آرثر الصغير ابن أخيك ،
صاحب الحق الشرعى فى هذا الملك كله .

الملك جون : وما العاقبة إذا رفضنا هذا ؟

شاتليون : الإذعان قهراً للحرب الضروس ،
والتسليم كرهاً بالحقوق المغتصبة .

الملك جون : فلتكن حربا بحرب ، ودما بدم ،
وقهرا بقهر . . هذا جوابى لملك فرنسا .

شاتليون : إذن أسمعك من فمى تحدى ملك فرنسا ،
وهذا آخر شىء فى رسالتى .

الملك جون : أبلغه أنى أتحداه أيضاً . وانصرف بسلام !
ارجع إلى فرنسا فى سرعة البرق ،
فإنى سأبلغها قبل أن تبلغهم رسالتك .
وستدوى مدافعى كالرعد القاصف[1] .
انطلق ! ولتكن أنت النذير بغضبى ،
ورسول الشؤم بما سيحل بكم من الدمار .
يا بمبروك ، عليك أن توفر له

(١) لم تكن المدافع اخترعت بعد ، وشكسبير كثيراً ما يتجاوز حقائق التاريخ على هذا النحو .

أن يعود آمناً مكرماً . وداعاً يا شاتليون

(يخرج شاتليون و بمبروك)

اليانور : أرأيت يا بنى ! ألم أقل دائماً
إن كنستانس ، تلك المرأة الطموح ، لن يقر لها قرار ،
حتى تشعل النيران فى فرنسا وفى العالم بأسره .
من أجل حقوق ابنها وممتلكاته ؟
وقد كان من الممكن تجنب هذا كله وتصحيح الأوضاع ،
لو أنك جعلت بالمحبة والود حجتك
بدلا من الالتجاء إلى حرب شعواء تشب بين القائمين على أمر مملكتين ،
وتسيل فيها الدماء ، وتزهق الأرواح .

الملك چون : لنا قوة الملك . وقوة الحق .

اليانور : ليكن اعتمادك على ملكك أكثر من اعتمادك على حقك ،
وإلا ساءت العاقبة لى ولك .
هذا وحى ضميرى . أهمس به فى أذنك .
فلا يسمعه إلا الله وأنت وأنا .

(يدخل المشرف)

اسكس : مولاى ، إن لدينا قضية من أعجب القضايا التى سمعت بها ،

وقد أقبل أصحابها من بلادهم ، لكى تحكم بينهم ،
فهل تأذن لى أن أحضرهم ؟

الملك چون : دعهم يقتربوا ،
وستحتمل الكنيسة
نفقات هذه القضية العاجلة .

(يدخل روبرت فلكنبردج وأخوه الدعى فليب)[1]

من أنتما ؟

الدعى : رجل مخلص من رعاياك ، سيد مهذب ،
ولد فى مقاطعة نورثمبتون ، الابن الأكبر فيما أظن ،
لروبرت فولكنبردج ،
ذلك الجندى الذى أنعم عليه قلب الأسد ، الملك المنعم الكريم ،
بلقب الفروسية[2] فى ميدان القتال .

الملك چون : وأنت من تكون ؟

روبرت : أنا الابن والوارث الشرعى لفولكنبردج هذا .

الملك چون : أهذا هو الابن الأكبر وأنت الوريث الشرعى ؟

---

(١) الولد غير الشرعى .

(٢) هو لقب سير المعروف ، وقلب الأسد هو ريتشارد المعروف فى الحروب الصليبية والأخ الأكبر للملك چون .

لعلكما لستما من أم واحدة .

الدعى : نحن بلا شك من أم واحدة ، أيها الملك العظيم ،
وهذا أمر يعرفه الجميع وكلانا وفيما أظن من أب واحد ،
ولكنك إذا شئت أن تعلم هذه الحقيقة علم اليقين ،
فإني أحيلك على الله سبحانه وتعالى ،
أما أنا فإني كغيري من بني الإنسان قد يساورني الشك في هذا الأمر .

اليانور : يالك من فتى بذيء ! إنك تلحق العار بأمك .
وتخدش شرفها بما تثيره من الشكوك .

الدعى : كلا يا سيدتي ، لست أنا السبب في هذا .
بل هو ما يزعمه أخي لا ما أزعمه أنا ،
وإذا استطاع أن يثبت ما يزعمه .
فإني سأحرم من إرث طيب لا يقل عن خمسمائة جنيه في العام ،
لذلك أسأل الله أن يحفظ شرف أمي . ويحفظ لي أرضي !

الملك جون : إنك فتى طيب وصريح .
ولكن لماذا ، وهو أحدث منك مولداً ، يدعى الحق في إرثك ؟

الدعى : لا أعرف لهذا سبباً سوى رغبته فى الاستيلاء على الأرض .
ولكنه قد وصمنى مرة بأننى ابن غير شرعى ،
ولكن سواء أكنت ابناً شرعيًّا أم غير شرعى ،
فإن حريرته تقع على أمى ،
فإذا شئت يا مولاى أن نسبى لا يقل صدقاً عن نسبه
— وأسأل الله أن يحسن إلى تلك العظام التى تعبت بحملى —
فقارن وجهه بوجهى ، ثم احكم بما تراه !
ولئن كان كلانا قد أنجبه سير روبرت
وكان هو والدنا حقًّا ، لكوكان هذا الابن مشابهًا له ،
فإنى أركع على ركبتى وأحمد الله
على أنى لست أشبهك أيها الوالد الشيخ : سير روبرت !
الملك چون : أى مجنون هذا الذى ساقته إلينا المقادير !
اليانور : إن فيه ملامح من وجه قلب الأسد ،
كما يشبهه فى لهجة لسانه ،
ألا تقرأ فى قوام هذا الرجل الضخم
بعض الدلائل التى تذكر بابنى ؟
الملك چون : لقد أنعمت النظر فى ملامحه
فوجدتها مطابقة لريتشارد كل المطابقة .تكلم يا هذا ،

ما الذى حملك على المطالبة بأرض أخيك ؟

الدعى : لأنه ، إذا تأملته من جانب ، بدا نصف وجهه
مشابها لأبى ،
ويريد أن يستولى على أرضى كلها بنصف وجهه هذا ،
أجل بنصف الوجه[1] المنقوش على الدرهم ، يريد أن
يستولى على خمسمائة جنيه فى كل عام .

روبرت : مولاى السيد الجليل . عندما كان والدى على قيد الحياة
كان أخوك يكثر من استخدامه .

الدعى : هذه الحجة يا سيدى لن تنيلك أرضى ،
يجب أن تروى قصة استخدامه لأمى .

روبرت : — ثم أرسله مرة سفيراً إلى ألمانيا ،
لكى يفاوض الإمبراطور هناك
فى شأن من الشئون الهامة فى ذلك الزمن .
وانتهز الملك فرصة غيابه ،
وأقام أثناء ذلك فى بيت أبى .
ويعرونى الخجل حين أروى كيف تغلب .

---

(١) نصف الوجه أى البروفيل . ويقول الدعى إن « أخاه يشبه بروفيل أبيه ، ثم يقارن بينه وبين البروفيل المنقوش على الدرهم . وقيمته أربعة بنسات ، تحقيراً له .

ولكن كلمة الحق لا مهرب منها : وقد سمعت أبي
نفسه يحدثنا
بأنه كانت تفصل بينه وبين أمي
مساحات واسعة من البر والبحر ،
عندما حملت بهذا السيد القوى الضخم .
فأوصى لى وهو فى فراش الموت بأرضه ،
وأقسم عند وفاته يميناً
بأن ابن أمى هذا ليس من صلبه .
وكيف يكون من نسله
وقدولدقبل الموعدالطبيعي لمولده بأربعة عشر أسبوعاً كاملا؟
من أجل ذلك ألتمس منك يا مولاى ، أن تأمر لى بأرض أبى ،
ولى فيها الحق كله ، طبقاً لوصيته التى أوصى بها .

الملك چون : يا هذا إن أخاك ولد شرعى ،
ما دامت زوج أبيك قد حملت به بعد الزواج .
فإذا كانت أمك قد ضلت فعليها تقع الخطيئة .
تلك الخطيئة التى يتعرض لها جميع الرجال حين يتخذون زوجات .
قل لى : أكان يجوز لأخى ،

الذى تزعم أنه جشم نفسه إنجاب هذا الفتى ،
أن يطلبه من أبيك بوصفه ولده ؟
كلا أيها الصديق . لقد كان من حق أبيك
أن يحتفظ بهذا العجل الذى ولدته بقرته ، دون سائر الناس .
لقد كان هذا من حقه بلا مراء ولن يستطيع أخى أن
يطالب به ، ولو كان ابنه ،
ولا يستطيع أبوك أن ينكره ، على زعم أنه ليس من ولده.
هذا إذن هو القول الفصل :
إن ابن أمى قد أنجب وريث أبيك .
ولابد لوريث أبيك أن يستولى على أرض أبيك .

روبرت : أما لوصية أبى من القوة
ما يكفى لحرمان هذا الدعى الذى ليس من ولده ؟

الدعى : ليس لوصيته فيما أرى من المقدرة على حرمانى ،
أكثر مما كان له من الإرادة فى إنجابى .

اليانور : أيهما آثر عندك ، أن تنتسب إلى أسرة فولكنبردج ،
وتنعم كأخيك بتلك الأراضى .
أو أن تكون ابناً نابهاً لقلب الأسد ،
تنعم بذلك الشرف دون الأراضى أو الضياع ؟

الدعى : لو أن أخى هذا له صورتى ،
ولى صورته وصورة أبيه سير روبرت ،
وكانت لى رجلان كقصبتين ضئيلتين مثل رجليه ، !
وذراعان كأنهما جلد ثعبان محشو بالخرق البالية ،
وكان وجهى من الضآلة بحيث لا أستطيع أن أضع وردة خلف أذنى ،
لئلا يصيح الناس حين يرونى : «هاك قطعة من ذات الثلاثة الملاليم[1] ! »
وكنت وأنا فى مثل هذه الصورة ، وريثاً لجميع هذه الأراضى والضياع ،
إذن لوددت لو أخر صريعاً لساعتى فلا أبرح مكانى هذا
إن لم أهب كل شبر من الأرض لكى أسترد صورتى وشكلى ،
فلا أكون شبيهاً بالسير روبرت بحال من الأحوال .

اليانور : إنى بك لمعجبة ، فهل لك أن تتخلى عن ثروتك ،
وتتنزل له عن ضيعتك ، وتتبعنى ؟

---

(١) كانت القطعة التى تعادل الثلاثة الملاليم فى زمن شكسبير تحمل صورة ضئيلة ، وخلف الأذن وردة تميزها عن غيرها من القطع القريبة منها فى القيمة . والجملة يراد بها تحقير أشكل خيه روبرت ووالده .

فأنا من الجند ، ووجهتى الآن فرنسا .

الدعى : أى أخى ! دونك أرضى ومالى ، وسأمضى لأنشد حظى ،
إن وجهك هذا أكسبك خمسمائة جنيه ، إيراداً سنوياً ،
مع أنك لو بعته ببضعة قروش لكان الثمن غالياً .
مولاتى ، سأتبعك حتى الموت .

اليانور : بل أريد منك أن تسبقنى إليه .

الدعى : تقضى آداب بلادنا أن نفسح الطريق لسادتنا .

الملك چون : ما اسمك ؟

الدعى : اسمى فليب يا مولاى . هكذا يبدأ اسمى ،
فليب الابن الأكبر لزوجة السير روبرت الشيخ الطيب .

الملك چون : عليك أن تحمل منذ الساعة اسم الرجل الذى تحمل صورته .
اركع أمامى وأنت فليب ، ثم انهض وأنت أجل وأعظم .
انهض وأنت سير ريتشارد ولقبك بلانتاجنت[1] .

الدعى : أى أخى لأمى ، ناولنى يدك !
إن أبى منحنى النبل . أما أبوك فمنحك الأرض .
ألا بوركت الساعة التى حملت بى فيها أمى ، ليلا كانت أو نهاراً .

---

(١) يركع الشخص أمام الملك فيضرب به على كتفه بسيفه ويمنحه لقب الشرف . وبلانتاجنت Plantagenet هو اسم الأسرة المالكة لإنجلترة فى ذلك الزمن .

والسير روبرت فى سفر بعيد !

اليانور : هذه الروح هى روح أسرة بلانتاجنت ،
أنا جدتك يا ريتشارد ، وهكذا خاطبنى .

الدعى : أجل يا مولاتى ؛ ولئن كان نسبى صدفة ، ولم يكن صريحاً ، فأى ضير فى هذا ؟
قد يكون الأمر مخالفاً للعرف ، أو مجانباً للاستقامة قليلا .
فإن من فاته الباب ؛ دخل من الطاق أو النافذة ،
ومن خشى السير نهاراً ، فلابد له من دلج الليل ،
والثمرة هى الثمرة ، أيًّا كانت وسيلة قطفها !
وسيان لمن أصاب الهدف ، إن رمى عن كثب أو بعد .
وأنا أنا سيان عندى كيف ولدت

الملك چون : انصرف الآن يافولكنبردج ، فقد نلت مأربك ،
بعد أن جعلك هذا الفارس الذى لا أرض له ، رجلا من ذوى الأراضى .
هلم يا مولاتى ، وهلم يا ريتشارد ، لابد لنا أن نسعى سعياً حثيثاً
إلى فرنسا ، لأنا فى أشد الحاجة إلى هذا الإسراع .

الدعى : وداعاً يا أخى ! وعسى أن يصاحبك التوفيق ،
ما دمت قد ولدت مولداً شريفاً .
(يخرج الجميع ماعدا الدعى)
لقد زدت فى النبل قيراطاً فوق ما كنت فيه ؛
ونقصت فى أرض الإقطاع قراريط
فليكن ، فالآن صار بوسعى أن أجعل من أية أنثى قروية سيدة نبيلة ،
وإذا حيانى شخص : « عم مساء يا سير ريتشارد ! »
أجبته بأنفه : « شكراً لك يا صاح ! »
وإذا كان اسمه جرجس دعوته بطرس ،
لأن حديث النسب من دأبه أن ينسى الأسماء .
وإلا كان فى منزلته الجديدة متواضعاً ، متودداً أكثر مما ينبغى .
ويجىء بعد ذلك لزيارتى والتحدث إلى رجل من ذوى الأسفار والرحلات ،
فيجلس إلى مائدتى والخلالة بيده ،
فإذا أحسست أن معدة حضرتى قد امتلأت ،
مصصت أسنانى وأخذت أسائل رجل الأسفار وأحاوره ،
فأتكئ على مرفقى .

وأوجه إليه الكلام قائلا :
« أود أن أسألك . »
فيبادر بالإجابة ، كما هى الحال فى كتب الأطفال :
« إنى طوع أوامرك يا مولاى ، وتحت تصرفك ، وفى خدمتك »
فأقول له : « كلا يا سيدى ،
بل أنا الذى فى خدمتك يا سيدى العزيز » .
وهكذا يضيع الوقت دون أن يعرف المجيب ما يريده السائل
فى تبادل التحيات والمجاملات ،
تتخللها الإشارات من آن لآن إلى جبال الألب ، والآبيين ،
والبرانس ونهر البو .
وتحين ساعة العشاء .
ومع ذلك فإن هذه هى الحياة الاجتماعية الراقية ،
التى تلائم من كان مثلى تسمو به روحه إلى المعالى ،
إن من لم يعرف كيف يداهن الناس ،
ليس خليقاً أن يكون ابن هذا الزمان بحق ،
وإنى بلا شك ولد غير شرعى ، سواء عرفت أم لم أعرف ،

ولن يكون مظهر هذا فى ملبسى وشعارى ودروعى
بل سيظهر ذلك فى طباعى وميولى
وما أكيله للناس من ملق ودهان يتناسب مع روح الزمان
أتعلمهما لا لأخدع الناس
بل لأتقى الخديعة
فإنى سأتعرض لكثير من الملق والنفاق ينثر أمامى ،
وأنا أرتقى سلم المجد ، كما ينثر الزهر .
ولكن ، ترى من القادم المقبل علينا فى بزة الراكب ؟
إنها مركبة امرأة ، لكن أليس لها زوج
يكلف نفسه عناء النفخ فى البوق ليعلن عن مقدمها ؟
(تدخل السيدة فولكنبردج ، ومعها جيمس جورنى)
ويلى . إنها أمى — ما خطبك أيتها السيدة الطيبة ،
ما الذى جاء بك إلى القصر بسرعة على هذه الصورة .

السيدة فولكنبردج : أين أخوك . أين ذلك العبد ؟
أين ذهب الشرير الذى يهين شرفى ويشهر بى؟

الدعى : أتعنين أخى روبرت ؟ ابن الشيخ السير روبرت ؟
كولبراند العملاق . ذلك البطل الجبار . والفتى الهمام المغوار ؟
أهو نجل السيد روبرت . الذى جئت فى طلبه على هذه الصورة ؟

السيدةفولكنبردج : نجل السير روبرت أجل أيها الفتى الوقح ،
أريد ابن السير روبرت ، وما بالك تزدرى السير روبرت؟
إنه ابن سير روبرت كما أنك أنت أيضاً ولده .
الدعى : أى جيمس جورنى ، هل لك أن تتركنا وحدنا لحظة ؟
جورنى : عن طيب خاطر يا عزيزى فليب .
الدعى : فليب ! هذا اسم لعصفور يا چيمس
وهناك أنباء جديدة سأحدثك عنها بعد قليل .
(يخرج جورنى)
إنى يا سيدتى لم أكن يوماً ابناً لسير روبرت الشيخ .
ولو أن سير روبرت تناول وهو صائم
الجزء الذى يخصه منى لما أفطر بتاتاً .
وما كان أجدر سير روبرت أن يعترف بالحقيقة !
أكان فى وسعه أن ينجبنى ؟
محال أن يستطيع ذلك سير روبرت ، ونحن نعرف
النوع الذى يستطيع صنعه .
إذن خبرينى أيتها الأم الطيبة ، منذا الذى أنا مدين له
بهذه الأطراف ؟
إن سير روبرت ليعجز عن صنع هذه الساق .
السيدةفولكنبردج : أتراك قد تواطأت مع أخيك أيضاً

مع أن من مصلحتك أن تذود عن شرفى ؟
ما معنى هذه السخرية والتحقير ، أيها الوغد البذىء
اللسان ؟

الدعى : بل فارس عظيم ، كأعظم الأبطال ، أيها الأم الطيبة ،
لقد منحت لقب الفروسية وليست شارتها على كتفى ،
ولكنى يا أماه لست ابناً لسير روبرت ،
وقد أعلنت براءتى من سير روبرت ومن أراضيه
وضحيت بالاسم والحقوق المترتبة عليه .
خبرينى إذن ، من أبى أيتها الأم الكريمة ،
ورجائى أن يكون رجلا يليق بى ، فمن هو يا أماه ؟

السيدة فولكنبردج : هل تبرأت إذن من الانتساب إلى فولكنبردج ؟

الدعى : كما أبرأ — بنفس الشدة — من الانتساب إلى الشيطان .

السيدة فولكنبردج : أبوك الملك ريتشارد ، قلب الأسد .
لقد أغرانى بعد إلحاح طويل وعنيف ،
أن أفسح له مكاناً فى فراش زوجى
فاللهم اصفح عنى ولا تجزنى بخطيئتى .
لقد كنت أنت ثمرة هذا الذنب الأثيم ،
الذى دفعت إليه دفعاً ، لم أستطع له مقاومة .

م ١

والآن ، تعالى أيتها السيدة ، حتى أعرفك بأقاربى .
وسيقولون لك إنك لو كنت أبيت أن تنجبينى من
ريتشارد
لكان ذلك هو الخطيئة بعينها .
ومن يقل خلاف ذلك فهو كاذب . أما أنا فأقول إن
هذه لم تكن خطيئة .
(يخرجان)

الدعى : قسماً بهذا الضياء[1] لو أنى ولدت مرة أخرى يا سيدتى
لما وددت أن يكون لى أب خير من هذا الأب .
إن لبعض الخطايا ميزات تظهر أثناء الحياة .
وهكذا كانت خطيئتك . إن ذنبك لم يكن عن خفة وطيش ،
فما كان يسعك إلا أن تجعلى قلبك طوع بنانه ،
خاضعاً خضوعاً تامًّا لحب جارف ، وبأس شديد ،
يعجز الأسد الذى لا يهاب شيئاً ،
أمام صولته وقوته . أن ينافح أو يكافح ،
أويحمى قلب ملك السباع من سطوة ريتشارد .
وأهون على الذى ينتزع قلوب الأسد الضوارى من صدورها .
أن يستولى على قلب امرأة .
أجل يا أماه ! إنى لأشكرك بكل قلبى على أن منحتنى هذا الولد !
والويل لمن يجرأ فيقول إنك أخطأت فيما فعلت .
فإنى خليق أن أرسل روحه إلى الجحيم .

---

(١) هذا هو المعنى وهو قسم يتكرر كثيراً فى مسرحيات شكسبير وهكذا تفسره الشروح الموجودة فى طبعة أردن .

الفصل الثانى

المنظر الأول

(فى فرنسا أمام مدينة آنجيه [1])

(يدخل من أحد الجانبين أرشدوق النمسا وجنده . ومن الجانب الآخر فليب ملك فرنسا وجنوده ولويس وكنستانس وآرثر والحاشية .)

لويس : لقاء سعيد ، رجل النمسا الباسل ،

الملك فليب : أى آرثر ، إن سلفك العظيم رتشارد
الذى سلب الأسد قلبه ،
وخاض غمار الحرب المقدسة فى فلسطين ،
قد لقى حتفه قبل الآوان ، على يد هذا الدوق الشجاع ،
وقد جاء الدوق اليوم إلى هنا ،
استجابة لرجائنا ،
لكى يقدم لخلفه ما يستطيعه من ترضية ، بأن يحشد

---

(١) آنجيه Angers ، عاصمة آنجو Anjou قديماً — والآن عاصمة مقاطعة اللوار والمين ، تقع شمال نهر اللوار مباشرة فى مجراه الأوسط على بعد ١٩٠ ميلا من باريس إلى الجنوب الغربى منها ، وإلى الشرق من نانت ، كثيراً ما كانت ميدان نزاع وحرب .

كتائبه لنصرتك أيها الفتى ،
ويرد كيد ذلك الغاصب ،
عمك الشرير چون الإنجليزى .
فابذل له الحب وعانقه ، ورحب بمقدمه .
: الله يغفر لك موت قلب الأسد ،
لا سيما أنك الآن تمنح الحياة لخلفه ،
وترعى حقوقهم ، وتبسط فوقهم أجنحة جيشك .
إنى أرحب بك أطيب الترحيب ، بيد لا حول لها ولا قوة ،
ولكن بقلب ملؤه الحب الطاهر البرىء .
فمرحباً بك أيها الدوق أمام أبواب آنجيه .
: يا لك من فتى نبيل ، من ذا الذى يأبى تأييدك ونصرك .
: إنى أطبع هذه القبلة الحارة الطاهرة على خدك ،
أسجل بها عهد المحبة والوفاء ،
على ألا أعود إلى وطنى حتى تستولى على آنجيه ،
وعلى ممتلكاتك فى فرنسا ،
وحتى تخضع لك تلك الشواطئ الشاحبة البيضاء[1]
التى ترتد من سفوحها أمواج المحيط الهائلة خائبة مدحورة ،

واطئ انجلترة المقابلة لفرنسا صخورها بيضاء ، وهذا سبب تسمية إنجلترة Albion .

ولنسدد مدافعنا إلى جبهة تلك البلدة العنيدة ،
ولندع صفوة رجالنا ، وأكثرهم تجربة ودراية ،
ليختاروا لها أحكم المواقع ،
وسيان إن تناثرت عظامنا أمام هذا البلد ،
وخضنا إليه بحرًا من الدماء الفرنسية ،
ما دمنا بذلك نخضعها لسلطان هذا الفتى .

س : على رسلك حتى يأتيك رد السفير الذى أرسلته ،
لكيلا تخضب سيوفك بالدماء من غير موجب ،
لعل اللورد شاتليون يحمل إلينا من إنجلترة فى سلم ،
ما ننشده الآن بالحرب .
وإلا كنا خليقين أن نأسف لكل قطرة دم سفكت
بسبب هذه العجلة والتهور .

(يدخل شاتليون)

ـيب : لقد تحققت رغبتك يا سيدتى ، بما يشبه المعجزة .
فها هو ذا رسولنا شاتليون عاد !
حدثنا بإيجاز ، أيها السيد الكريم ، بما قاله ملك الإنجليز ،
وسنصغى إليك فى هدوء . تكلم يا شاتليون .

: إذن فاصرفوا جيوشكم عن هذا الحصار التافه ،

والتى تحوط أهل الجزيرة وتقيهم من العدوان الأجنبى ؛
وسألازمك حتى تحييك ملكاً لها إنجلترة ،
التى يحف بها البحر من كل جانب ،
تلك القلعة التى تحصنت وراء أسوار من الماء ،
فباتت على الدوام فى مأمن من كل مطمع أجنبى
إلى آخر ركن من أركانها فى الغرب[١] .
فإلى أن تتربع على عرشها ، يا زين الشباب .
لن أفكر فى بلدى وأهلى ، بل فى الحرب والقتال ،

كنستانس : تقبل إذن أجزل الشكر من والدته ، شكر أرملة عاجزة ،
إلى أن يحين الوقت . الذى يصبح فيه ، بفضل قوة
ساعدك ونصرتك له .
قادراً على أن يجزى حبك بما يستحقه من التقدير والوفاء .

الأرشيدوق : سلام الله وبركته على الذين يجردون سيوفهم ،
فى حرب كهذه ، لنصرة العدالة والخير .

الملك فليب : إذن هلم إلى العمل !

(١) سيجد القارئ فى هذه المسرحية – كما فى أدب عصر إليزابث كله – إسرافاً فى إطراء البلاد وجنودها ومنعتها . سببه النعرة الوطنية التى سادت إنجلترة وقت حملة الأسطول الأسبانى وفشل الحملة . وكثيراً ما تكون عبارات الإطراء بدون مناسبة ولا يبررها المقام أو سياق الحديث .

واحشدوها بقوة لما هو أجل وأخطر .
إن مطالبكم العادلة قد أهاجت ملك إنجلترة ،
فحشد جيشه . وأمكنه أن ينزل كتائبه كلها على شواطئنا
فى نفس الوقت الذى وصلت فيه ،
وذلك بسبب الرياح المعاكسة التى عاقت مسيرى .
وهو يزحف بسرعة على هذه البلدة
بجيش قوى وجنود شديدى الاعتداد بأنفسهم .
وقد جاءت معه الملك الأم ،
وهى كشيطان النقمة تحثه على العنف وسفك الدماء ،
ومعها حفيدتها بلانش ، الأميرة الأسبانية .
ويصحبهم جميعاً ابن غير شرعى للملك الراحل ،
وجميع العناصر المتذمرة فى البلاد ؛
من كل جرىء مستبسل لا يبالى ،
ومتطوع يلتهب حماسة :
مرد الوجوه كأنهم نساء ،
ولكن صدورهم امتلأت حقداً كحقد التنين ،
يحملون شاراتهم على ظهورهم فى زهو وكبرياء ؛
وقد باعوا كل ما يملكونه فى ديارهم ، لعلهم أن ينالوا
ها هنا ملكاً جديداً ،
وصفوة القول أنه لم يسبق للسفن الإنجليزية أن حملها الموج

وعلى ظهورها صفوة مختارة
أكثر دربة وإقداماً من هذا الجيش ،
الذى جاء لينشر الفساد والأذى فى العالم المسيحى
الصميم .

(يسمع دق طبول)

ها هى ذى طبولهم الوقحة تقطع علىّ حديثى ،
وتغنينى عن الإفاضة فى الوصف .
لقد دنت منا ، تريد المفاوضة أو القتال ، فخذوا
حذركم .

الملك فليب : يا لها من سرعة لم يكن يتوقعها أحد !

الأرشيدوق : إن يقظتنا واهتمامنا بالدفاع
يجب أن يتناسبا مع قلة توقعنا ،
لأن الشجاعة تكبر بمقدار ما يكبر الخطب .
دعهم يحضروا على الرحب ، فإنا على استعداد للقائهم .

(يدخل الملك چون واليانور و بلانش والدعى ، و بعض النبلاء والجنود)

الملك چون : السلام على فرنسا ، إذا قبلت فرنسا أن ندخل بسلام ،
أرضنا وديارنا التى ورثناها بحق عن أجدادنا .
وإلا فليسفك دم فرنسا ، وليصعد السلام إلى السماء .
إنا نحن غضب الله قد بعثنا ، لكى نحدّ من ذلك

الكبرياء الممزوج بالاحتقار ،
والذى طار بسببه سلام الله من الأرض إلى السماء .
الملك فليب : السلام على إنجلترة ، إذا عاد هذا الجيش أدراجه
من فرنسا إلى إنجلترة ، حيث يستطيع أن يعيش فى
سلام .
إننا نحب ملك إنجلترة ، وفى سبيل إنجلترة
يتصبب عرقنا اليوم من ثقل هذه الدروع .
لقد كنت أنت الجدير بأن تحمل العبء الذى نحمله
الآن[١] ،
ولكنك بعيد كل البعد عن حب ملك إنجلترة ،
بحيث أخذت تقوض دعائم ملكها الشرعى ،
وتقطع حبل الوراثة المطردة .
وتعتدى على مكانة فتى صغير .
وتنتهك حرمة تاج لم يزل بكراً .
انظر إلى هذا المحيا ، تر وجه أخيك جفرى :
عيناه وحاجباه قد صيغا من عينى أخيك ومن حاجبيه ،
وهذا الجسم الناشئ الصغير قد اشتمل على الجسم

(١) أى تعاون ابن أخيك على استرداد ملكه بما فى ذلك حصار آنجيه وتسليمها له بعد الاستيلاء عليها .

الكبير ،
الذى قضى بوفاة جفرى ،
ويد الزمان كفيلة بتنشئة هذا الصغير حتى يكون
عظيماً جسيماً .
لقد كان جفرى أخاك الأكبر وشقيقك .
وهذا هو نجله . وكان جفرى صاحب الحق فى عرش
إنجلترة ،
وهذا ابنه ووريثه .
فكيف بالله جاز لك أن تدعى ملكاً ،
والدم الحى ينبض بقوة فى هذا الجبين ،
صاحب التاج ، الذى اغتصبته ؟

الملك چون : ممن أخذت يا عاهل فرنسا هذا التوكيل الضخم ،
الذى يخولك أن توجه التهم وتطلب الإجابة عن كل منها؟

الملك فليب : من ذلك الحكم الأعلى ، الذى يحرك المشاعر الصالحة
فى كل صدر له شأن وخطر :
حتى يبحث عن العار والفساد فيمحوهما .
ذلك الحكم هو الذى ولانى الوصاية على هذا الفتى ،
وهو الذى خولنى حق مجابهتك بما ارتكبت من الإثم .
وبفضل معونته سأقتص من الآثم .

الملك چون : هيهات إنك لتغتصب السلطة اغتصاباً .

الملك فليب : حسبي عذراً أنى بذلك أضرب على يدى الغاصب .

اليانور : ومن هذا الذى تدعوه غاصباً يا ملك فرنسا ؟

كنستانس : دعنى أرد عليها : ابنك هو الغاصب .

اليانور : تبـًّا لك من وقحة ! تريدين الملك لابنك النَّغل ،
حتى تصبحى ملكة ذات سلطان على العالم !

كنستانس : إن طهر فراشي وإخلاصي لابنك ،
لم يكن يقل عن طهر فراشك وإخلاصك لزوجك[1]
وهذا الفتى أقرب شبهاً فى ملامحه لأبيه جفرى ،
مما بينك وبين ابنك چون من التشابه فى الخصال الشريرة ،
فأنتما كالماء والمطر ، أو كالشيطان وأنثاه .
تزعمين أن ابنى ولد غير شرعى ،
وأنا أزعم وأقسم أن أباه لم يكن يدانيه فى طهارة مولده ،
وأنى له طهر المولد وأنت أمه ؟

اليانور : حبذا أمك هذه أيها الفتى ، التى تصم شرف أبيك .

كنستانس : وحبذا جدتك هذه أيها الفتى ، التى تصم شرفك .

---

(١) يرى بعض الشراح فى هذه الجملة تعريضاً بإليانور التى خانت زوجها الأول لويس السابع فى فلسطين وطلقت منه بسبب هذه الخيانة وتزوجت هنرى الثانى ملك إنجلترة وولدت له أبناءه الثلاثة : ريتشارد وجفرى وچون .

الأرشيدوق : السكون !

الدعى : أنصتوا إلى صوت الحاجب[١] !

الأرشيدوق : وأنت بحق ، الشيطان عليك ، من عساك تكون ؟

الدعى : إنسان سيكون شيطاناً يسلط عليك ،
ومناى أن أنفرد بك وبالجلد الذى ترتديه[٢] ،
أنت أيها الأرنب ، الذى جاء ذكره فى الأمثال :
والذى بلغ من شجاعته أن عبث بلحية الأسد بعد أن أضحى جثة هامدة .
انتظر إذن حتى أقبض عليك ، وأقطع جلدك بالسياط ،
أجل وإنى لأقسم على ذلك بأغلظ الأيمان .

بلانش : إنما يليق لبس جلد الأسد
بمن انتزع من الأسد جلده !

الدعى : إن هذا الرداء لا يليق عليه
إلا كما يليق جلد القيدس على جسم حمار[٣]

---

(١) يريد صوت الحاجب فى المحاكم ودور القضاء . ويلاحظ القارئ كيف يتخذ الدعى موقف العداء من أرشيدوق النمسا لأنه كان عدو أبيه ولا يزال يسخر منه ويهاجمه حتى يقتله فى الفصل الثالث .

(٢) رداء من جلد الأسد ، أخذه الأرشيدوق من ريتشارد بعد مصرعه .

(٣) القيدس اسم آخر لبطل الأساطير اليونانية هركيوليس وقد اتخذ هركيوليس من جلد أسد صرعه رداء له كما اتخذ من رأسه خوذة — ويشير شكسبير فى الوقت نفسه إلى قصة الحمار الذى ارتدى جلد الأسد ولكنه افتضح عندما نهق — وهذه إحدى قصص إيسوب المشهورة .

وسوف أخلع عن ظهرك أيها الحمار هذا العبء الذى
يؤوده ،
أو أضربك ضرباً يحطم عظام كتفيك .

الأرشيدوق : أى ثرثار هذا الذى ما برح يصم آذاننا
بكلام كثير لا طائل تحته !
تفضل أيها الملك فليب فمر بالذى ينبغى عمله الآن[١] .

الملك فليب : ليلزم النساء والحمقى السكون !
وإليك أيها الملك چون حقيقة الموقف :
إنى أطالبك بإنجلترة وأيرلندة ، وآنجو وتورين ومين
لآرثر صاحب الحق فيها
فهل لك أن تسلمها جميعاً وتلقى السلاح ؟

الملك چون : أحبّ إلىّ أن أسلم روحى ، وأتحداك يا ملك فرنسا .
وأنت يا آرثر يا صاحب بريتانيا ، ضع يدك فى يدى ،
وسأمنحك من فيض حبى أكثر مما تغنمه لك يد ملك
فرنسا ، المرتعدة فرقاً .
أطعنى أيها الغلام .

اليانور : تعال إلى جدتك يا بنى .

---

(١) تعزو إحدى الطبعات هذا القول إلى فليب وتضع لويس بدل فليب كما تعزو الرد إلى لويس .

كنستانس : افعل يا بنى ! اذهب إلى جدتك يا بنى .
أعط جدتك الملك ،
تعطك جدتك برقوقة أو كريزة أو تينة .
ما أظرفها جدة !
آرثر : سكوناً أيتها الأم الطيبة !
ليتنى كنت دفيناً فى قبرى .
إنى لا أستحق أن يثار من أجلى كل هذا الضجيج .
اليانور : مسكين ، إنه يبكى لشدة خجله من أمه .
كنستانس : العار عارك أنت سواء أصابه العار من أمه أم لم يصبه ،
وليس خجله من أمه ، بل إن ما ارتكبته جدته من العار
هو الذى يستمطر من عينيه هذا اللؤلؤ
الذى يستدر عطف السماء ،
فتكون هذه الحبات البللورية بمثابة الجعل تستمال به السماء ،
لكى تحق الحق فتنصفه وتنتقم منك .
اليانور : تباً لك ولما ترمين به السماء والأرض من التجديف والإفك .
كنستانس : بل تبا لك ، ولما ترمين به السماء والأرض .
فما أنا بأفاكة ولا مجدفة .
بل إنك تستحلين أنت ومن يلوذ بك

اغتصاب حقوق هذا الفتى المضطهد وعرشه وممتلكاته ،
مع أنه أكبر أبناء ابنك ،
ولولاك لما كان جده تعساً عاثراً ،
فهو يكفر عما ارتكبت من المعاصى طبقاً لما جاء فى أحكام الشريعة الإلهية[1] ،
لأنه فى الجيل الثانى ممن أخرجهم بطنك ،
الذى لا يحمل إلا فى الخطيئة .

الملك چون : كفى جنوناً وسفهاً !

كنستانس : كل ما أريد أن أقوله
هو أن الله جعل وما اقترفته من هذه المرأة من المعاصى
عقاباً أنزله بهذا الطفل .
فهو يجازى بما اجترحت ، ويحمل عقاباً كان يجب أن ينزل بها ،
وهكذا أراد الله أن تأثم وأن تكون معصيتها أذى لآرثر ،
وكذلك الشرور والآثام التى لا تنفك ترتكبها .
فيحيق بهذا الطفل المسكين

---

(١) إشارة إلى ما جاء فى سفر الخروج (الإصحاح العشرين — الآية ٥) من أن جرائم الآباء يكفر عنها الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع . وستعود كنستانس فى كلامها التالى إلى تكرار هذا المعنى بالتفصيل .

كل هذا العذاب من أجلها ، فتباً لها ، ثم تباً لها .

اليانور : يا لك من سفيهة جاهلة !
بوسعى أن أبرز وصية تقضى بحرمان ابنك كل حق .

كنستانس : ومنذا يشك فى مقدرتك على ذلك ؟ وصية ! نعم إنها ستكون وصية جائرة !
وصية امرأة[1] ، وصية أملتها عجوز شريرة فاسدة .

الملك فليب : على رسلك سيدتى ! أقصرى أو الزمى جانب الاعتدال ،
فليس مما يليق بهذه الحضرة
ترديد الشتائم والعبارات النافرة .
لينفخ أحد الجنود فى البوق ،
ليدعو بعض رجال آنجيه إلى السور ، حتى نستمع إلى رأيهم :
أيهما يقرون له بحقه : آرثر أو چون .
(ينفخ فى البوق ، فيظهر هوبرت من فوق السور)

هوبرت : منذا الذى استدعانا إلى السور ؟

الملك فليب : إنه ملك فرنسا نائباً عن ملك إنجلتره .

الملك چون : بل هو ملك إنجلترة ،
نائباً عن نفسه .

---

(١) إشارة إلى بطلان وصية المرأة المتزوجة فى ذلك الزمن ، نظراً لخضوعها لتأثير زوجها ، وكنستانس ، تقلب الوضع بأن تصف وصية ر يتشارد بالبطلان ، لأن التى أملتها أمه .

أى رجال آنجيه ! يا رعيتى التى أخلصت لى الحب ،
الملك فليب : يا رجال آنجيه الخلصاء ، يا رعية آرثر !
إن أبواقنا هى التى استدعتكم لهذه المفاوضة الهادئة .
الملك چون : من أجل أمر يهمنا ، فأنصتوا إلينا أولا ،
إن رايات فرنسا هذه
التى حشدت بمرأى ومسمع من بلدتكم ،
قد زحفت إلى هنا لتدميركم ،
وقد امتلأت بطون هذه المدافع ويلا وعذاباً
ونصبت وأعدت لكى تنفث
حديد سخطها ونقمتها نحو أسواركم :
إن عيون مدينتكم لتبصر من خلال أبوابكم الموصدة
كيف أعد هؤلاء الفرنسيون العدة لحصار دموى مرير .
وتخريب لا يعرف الرأفة ،
ولولا قدومنا الساعة ،
لكانت مدافعهم الماثلة
قد اقتلعت صخوره الجيرية الهامدة التى تحيط ببلدتكم
فلا يبقى حجر فى موضعه ،
وتنشق فى أسواركم فجوات يتدفقون منها .
وينشرون الويل والثبور حيث كان يسود الأمن والسلام .

ولكنهم لم يكادوا يشهدون مقدمنا ، نحن مليككم
الشرعى ،
الذى استطاع أن يسعفكم بنجدته ،
وأن يعترضهم أمام أبواب مدينتكم
لينقذ جبهاتها ، ، دون أن تخدش أو تمس بسوء ،
حتى اضطروا فى حيرتهم إلى طلب المفاوضة ،
وبدلا من أن يزلزلوا أسواركم بالقنابل الملفوفة فى اللهب ،
إذا هم لا يقذفونكم إلا باللفظ الهادئ ،
وبالدخان الذى لا نار له ،
وغايتهم أن يلقوا على أسماعكم عبارات الوهم والتضليل ،
فإياكم أن تنخدعوا أيها المواطنون الكرام ،
وافتحوا لنا أبوابكم ، فنحن ملككم ،
الذى أعياه وجنوده هذا السير السريع إليكم ،
ويلتمس الراحة والمأوى داخل أسوار مدينتكم .
الملك فليب : بعد أن أفرغ من كلامى أجيبونا نحن الاثنين .
انظروا إلى هذا الواقف عن يمينى ،
وقد أقسمت يميناً مقدسة أن أتولى حمايته ورعايته .
هذا بلانتاجيت الشاب ،
ابن الأخ الأكبر لهذا الرجل ،

وهو الملك الشرعى عليه وعلى كل قطر يتمتع الآن
بالسيطرة عليه .
إن إنقاذ هذا الحق الذى وطئته الأقدام
هو الذى دفعنا لأن نزحف زحف المجاهدين ،
إلى هذه المروج التى أمام بلدتكم ،
ما كان لنا أن نناصبكم العداء
بأكثر مما يفرضه حرصنا الشديد على إغاثة هذا الطفل
المغلوب على أمره ،
استجابة لدوافع المروءة والدين .
فلتتفضلوا إذن بأن تؤدوا الواجب المفروض عليكم
بحق ،
إلى الرجل الذى تدينون له به : ألا وهو هذا الأمير
الشاب .
فإن فعلتم فإن أسلحتنا كلها لن تكون أسلحة إلا بمنظرها
وسيختم عليها ، ويزول أذاها ، كأنها دب على فمه
كمامة .
والقذائف التى ترسلها مدافعنا ،
ستطلق إلى السحب العليا التى لا يمكن مسها بأذى :
ثم نتراجع فى رضى وارتياح ،

وليس فى سيوفنا فلول ، ومغافرنا لم يلحقها عطب ،
ونعود إلى أوطاننا وفى عروقنا تلك الدماء الحارة ،
التى جئنا لنسفكها من أجل الاستيلاء على بلدتكم ،
ونغادركم ونساؤكم وأطفالكم فى أمن وسلام .
أما إذا سول لكم الغرور رفض هذا العرض الكريم ،
فإن هذه الأسوار القديمة المستديرة التى تحيط ببلدتكم
لن تمنعكم من قذائف مدافعنا ،
ولو كان معكم داخل الأسوار
هؤلاء الإنجليز بكل ما لهم من المهارة الحربية .
تكلموا إذن ! هل لمدينتكم أن تخضع لسلطاننا .
نيابة عن هذا الشاب ، الذى نطلبها باسمه ؟
أو تريدون أن تثور ثائرتنا
وأن نخوض فى الدماء إلى أملاكنا ؟

هوبرت : صفوة القول : إننا رعية ملك إنجلترة ،
من أجله نحافظ على هذه البلدة وعلى حقه فيها .

الملك چون : اعترفوا إذن بمليككم ، وافتحوا لنا الأبواب .

هوبرت : هذا ما لا نستطيعه ، ولكنه سنثبت ولاءنا وإخلاصنا
لمن يثبت أنه الملك .
وإلى أن تحين تلك الساعة ،

سنظل موصدين أبوابنا فى وجه العالم .

الملك چون : حسبكم دليلا على الملك ، أنه يحمل تاج إنجلترة ،
فإن لم يكفكم هذا فإن معى شهوداً ،
ثلاثين ألفاً ، من خيرة أبناء إنجلترة وأشرفهم .

الدعى : شرعيين وغير شرعيين .

الملك چون : جاءوا ليثبتوا حقنا بأرواحهم .

الملك فليب : وفريق يعادلهم عدداً ولا يقل عنهم نبلا .

الدعى : وفيهم أيضاً أبناء غير شرعيين .

الملك فليب : قد وقفوا فى وجهه يفندون دعواه .

هوبرت : إلى أن تتفقوا أيهما أجدر ،
سنمنع مدينتنا عن كليهما ، حتى يفوز بها الأجدر .

الملك چون : إذن غفر الله ذنوب تلك النفوس ،
التى لن تلبث — قبل أن يتساقط الندى هذا المساء —
أن تعجل بالرحيل إلى مقرها الأبدى ،
بعد أن تلقى أشد العذاب فى سبيل عاهل هذه المملكة !

الملك فليب : آمين . آمين ! هلم أيها الفرسان ! اركبوا وتقلدوا سلاحكم

الدعى : يا قديس چورج ، يا من صرعت التنين ، ولم تزل

ماثلا على صهوة الجواد أمام باب الحانة التي اختلف إليها[١] ،
أنجدني وعلمني صنعة الحرب .
(مخاطباً الأرشدوق) اسمع يا هذا ، لو أني الآن في بيتك ،
أي في عرينك يا هذا ، وفي صحبة لبؤتك[٢] .
إذن لوضعت رأس ثور ذي قرنين على جلد الأسد الذي ترتديه
فأجعل منظرك عجيباً .

الأرشيدوق : الزم الصمت ولا تزد !

الدعي : ارتعد فرقاً ، فإنك تسمع الآن أسداً يزأر !

الملك چون : هلموا بنا نصعد إلى الأرض السهلة
حيث نحشد كتائبنا على أحسن ترتيب .

الدعي : لنسرع إذن ، حتى نظفر بأحسن المواقع في الميدان .

الملك فليب : فليكن ، ولتقف قواتنا لدى الكثيب الآخر .
إن شعارها هو « الله وحقوقنا »[٣] !

---

(١) يسخر الدعي كعادته : والإشارة هنا إلى أن القديس چورج يرسم دائماً على ظهر جواد ، وبعض الحانات تتخذه اسما لها ، وتعلق رسمه على بابها

(٢) المعنى في اصطلاح العامة بالإنجليزية مماثل لاصطلاح العامة في العربية .

(٣) هذا شعار إنجليزي ، ولعل ملك فرنسا اقتبسه مؤقتاً ، وهو يطالب بحق ملك إنجلترة .

(يخرج ملك انجلترة وجنده وأتباعه من جانب ، وملك فرنسا وجنده وأتباعه من الجانب الآخر وبعد فترة يدخل منادى فرنسا ، ومعه جنود تحمل أبواقاً)

المنادى الفرنسى : يا رجال آنجيه ، افتحوا أبوابكم على مصاريعها .
لكى يدخل الشاب آرثر دوق بريتانيا[١] ،
الذى استطاع بمعاونة فرنسا أن يأتى من جلائل الأعمال اليوم ،
ما استبكى أمهات الإنجليز ،
وقد تناثرت أشلاء أبنائهن على أرض روتها الدماء ،
كم من أرملة أضحى زوجها صريعاً ،
يعانق الثرى المخضب عناقاً جامداً بارداً .
يا رجال آنجيه ! إن النصر اليوم
قد حالف الأعلام الفرنسية الخفاقة ،
كانت خسائرها تافهة ، وها هى ذى تخفق عالية مظفرة ، وتقترب منا ،
لكى تدخل دخول الفاتحين ،
ولتنادى بآرثر دوق بريتانيا ملكاً على إنجلتره وعليكم .

(يدخل منادى انجلترة ، ومعه جنود وأبواق)

---

(٣) بريتانيا المجاورة لنورمنديا من المقاطعات الفرنسية ، وقد كان لآرثر بعض الحق فى وراثتها كما سيظهر فى نهاية هذا الفصل .

المنادى الإنجليزى : أبشروا يا رجال آنجيه ! ودقوا نواقيسكم فرحاً ،
إن الملك چون — ملككم ومللك إنجلتره — قد أخذ يدنو ،
وقد عقد له لواء النصر فى هذا اليوم العصيب .
إن الدروع التى سارت من هنا فى لمعان الفضة ،
تعود الآن حمراء ذهبية مخضبة بدماء الفرنسيين ،
إن رماح الفرنسيين لم تستطع
أن تنتزع ريشة واحدة من خوذة إنجليزية .
وأعلامنا تعود الآن ، وهى مرفوعة ترفعها نفس الأيدى ،
التى كانت تحملها عندما بدأنا حملتنا .
وهاكم رجالنا الإنجليز الأشداء ، يعودون ،
وكأنهم كتيبة من الصيادين المرحين ، وقد اكتسبت أيديهم لوناً أرجوانيا
بعد أن اصطبغت بدماء من ذبح من أعدائهم .
فافتحوا أبوابكم ، وافسحوا الطريق للظافرين .
هوبرت : أيها المناديان ! لقد كنا نراقب الجيشين من أبراجنا ،
ونشاهد الكر والفر ، منذ البداية حتى النهاية ،
فلم تستطع أبصارنا الحادة أن تتبين
رجحان أحدهما على الآخر فهما فى نظرنا سواء .
وقد كان الدم يعادل الدم ، والضربات تقابلها الضربات ،

تكافأت القوى . والبأس يقابله البأس .
فهما فى القدر سواء ، وميلنا إليهما سواء ،
ولابد لأحدهما أن يثبت أنه أجل وأعظم
وما دامت الكفتان متعادلتين ، فإننا سنظل نمنع مدينتنا
عنهما ، ولكن من أجلهما جميعاً .

(يعود ويدخل من جانب الملك جون واليانور و بلانش والدعى ولوردات وجنود ، ومن الجانب الآخر الملك فيليب ولويس والأرشيدوق والجنود)

الملك جون . أى ملك فرنسا ، ألم تزل لديك دماء تبتغى إراقتها ؟
أتريد باعتراض مجرى حقنا الجارف ، أن تكرهه على
أن يعلو ويتضخم ؟
ولابد له فى هذه الحال وقد حيل بينه وبين طريقه
أن يغير مجراه الطبيعى ؟
ويفيض حتى يقتحم حدودك وسواحلك (١) .
وهذا لابد حادث إذا فسحت المجال لمياهه الفضية
الصافية .
حتى تتخذ سبيلها فى هدوء وأمان إلى البحر المحيط .
الملك فليب : أى ملك إنجلترة . إنك فى هذه المعركة الحامية ،

---

(١) يهدد بأن العراك سيتجاوز الأقطار المتنازع عليها إلى الأقاليم التابعة مباشرة لملك فرنسا .

لم تنقذ من الدماء أكثر مما أنقذنا نحن رجال فرنسا ،
وأكبر ظني أن ما فقدته أكثر مما فقدناه .
وإني لأقسم — وأنا أقسم بهذه اليد[١] ،
التي تدين لها الأقطار التي تظلها هذه السماء —
لأخضعنك أنت وكل قوة تعترض أسلحتنا ؛
أو نضيف اسماً ملكياً إلى عداد الموتى ،
فيزدان الثبت ، الذي ينبئ عن ضحايا الحرب ،
باسم ملكي لقي فيها حتفه[٢] .

الدعي : لشد ما يحلق بك الزهو يا صاحب الجلالة .
حينما يلتهب الدم الملكي العزيز حماسة !
إلا أن الموت ليغتال ضحاياه بأضراس من الفولاذ ،
وما أنيابه وأسنانه سوى سيوف المحاربين .
فهو الآن يلتهمكم التهاماً ويمزق أجساد الرجال
لا فرق عنده بين السوقة والملوك .
ففيم وقوفكم الآن وجها لوجه موقف الحيرة والتردد ؟

---

(١) إما أن تكون اليد هي يد آرثر التي يرفعها فلبب أو يده هو ، وفي هذه الحال يكون معنى Clime هو فرنسا .

(٢) يبدو أن قائمة القتلى كانت تقسم إلى بنود حسب درجات الضحايا ومراكزهم في المجتمع . وينذر فيليب خصمه بأنه إذا لم يذعن ، فإنه سيقتل ، وبذلك يضاف بند ملكي إلى جانب البنود الأخرى الخاصة بمن دونهم من الضحايا .

هلما فاشهرا حرباً لا رحمة فيها ولا هوادة ،
عودا بنا إلى الميدان المخضب بالدماء أيها الملكان العظيمان المتساويان ، واللذان اشتعلت روح كل منهما حماسة ،
ولتكن هزيمة أحدكما نصراً وسلاماً للآخر .
هلما إذن إلى الضرب والدماء والموت ، حتى تجيء ساعة الفصل .

الملك چون : لأى الفريقين يدين أهل هذه المدينة الآن ؟

الملك فليب : أعلنوا يا أبناء المدينة ولاءكم لملك إنجلتره ، أعلنوا تأييدكم لملك إنجلتره ، من مليككم ؟

هوبرت : ملكنا ملك إنجلتره ، حينما نعرف من الملك .

الملك فليب : اعرفوه فى شخصنا ، نحن الذين نقف هنا لندافع عن حقه[١] .

الملك چون : بل فى شخصنا ، ونحن الوكيل العظيم عن أنفسنا ،
ونحمل هنا سلطان الملك فى شخصنا .
والسيادة لنا على أنفسنا وعليكم وعلى أهل آنجيه .

هوبرت : هناك قوة أعظم منا تنكر هذا كله .

---

(١) وقد يكون معنى hold up his right نرفع أمامكم يده اليمنى (يد آرثر) .

وستظل مغلقين أبوابنا بأمتن الأقفال ،
حتى يزول كل شك يتردد فى صدورنا ،
وستظل مخاوفنا هى السلطان المهيمن علينا ،
حتى يظهر ملك لا يحوم حوله أدنى شك ، فتزول
مخاوفنا ويزول سلطانها عنا

الدعى : لعمرى إن صعاليك آنجيه هؤلاء ليسخرون منكما
أيها الملكان العظيمان :
وهم وقوف آمنون خلف حصونهم ،
كأنهم نظارة فى مسرح يحملقون ويشيرون بأيديهم
إلى ما تخوضان من معارك وما ترتكبان من تقتيل .
وما أجدركما يا أيها الملكان أن تستمعا لنصحى وإرشادى
وأن تفعلا كما فعلت الأحزاب الثائرة فى أورشليم (١)
فتتصاحبا ساعة ، وتوجها معاً
أشد ما لديكم من آلات التخريب إلى هذه البلدة .
فلتنصب فرنسا وإنجلترة ، فى الشرق والغرب ،
أشد مدافعهما فتكاً وتدميراً ،
حتى تدك قذائفهما المرعبة

---

(١) الإشارة إلى ماكان بين طوائف من أهل أورشليم من الشقاق ، ثم اتحادها لمحاربة العدو المشترك وهو الرومان .

أسوار هذه المدينة الوقحة ،
ولن أكف عن ضرب هؤلاء الأوغاد ،
حتى تنهار من حولهم الجدران ،
وتذروهم عراة كالهواء الطلق .
وبعد أن يتم لكما ذلك تفرقان قواتكما المتحدة ،
ويستقل كل منكما بجيشه وأعلامه .
وتقفان مرة أخرى وجها لوجه وكل سنان دموى يقابل نظيره ،
ثم لا تمضى لحظات حتى ينادى الحظ
حبيبه السعيد من بين صفوف أحد الفريقين .
فيؤثره بالنصر الباهر .
ويحبوه بالنصر المجيد .
ما رأيكما أيها الملكان العظيمان فى هذا الرأى العجيب الطريف ؟
ألا تريان أنه ينطوى على شىء من الدهاء ؟

الملك جون . إنى وحق السماء التى تظللنا ليعجبنى هذا الرأى .
فهل لملك فرنسا أن نوحد قواتنا
حتى نسوى آنجيه هذه بأديم الثرى ،
ثم نحترب لنقرر من يكون له الملك ؟

الدعى : وإذا كانت لك همة الملوك ،
وشعرت بما شعرنا به من الإهانة من هذه البلدة الضالة ،
فإنك خليق بأن تسدد فوهات مدفعيتك
مثلنا على هذه الأسوار الوقحة ،
و بعد أن نسويها بالأرض هدما وتدميراً ،
ينقض بعضنا على بعض فى هرج ومرج ، ويذهب
منا من يذهب إما إلى الفردوس وإما إلى الجحيم .

الملك فليب : ليكن الأمر كذلك . من أى الجهات تكون إغارتك ؟

الملك جون : سنرسل الدمار إلى قلب هذه البلدة
من الجانب الغربى .

الأرشيدوق . وأنا من الشمال .

الملك فليب : إذن سنقذف بصواعقنا من الجنوب ،
فنصب على هذه البلدة وابلا من القذائف .

الدعى : (لنفسه) يالها من خطة بارعة ! من الشمال ومن الجنوب
تلقى كل من فرنسا والنمسا بقذائفها فى وجه حليفتها ،
سأدفعهم إلى العمل — هلموا بنا ! هلموا بنا !

هوبرت : مهلا ، واستمعوا لنا أيها الملوك العظام : وتنازلوا بالبقاء لحظة .
حتى أريكم خطة فيها السلام والوفاق الجميل ،

فتظفرون بهذه المدينة من غير قتال أو جراح .
وتنقذون هذه النفوس الحية ، حتى تموت فى فراشها .
وهى التى جاءت ليضحى بها فى الميدان .
ناشدتكم لا تمضوا إلى ما اعتزمتم ، بل أنصتوا إلى
أيها الملوك ذوو البأس والسلطان !

الملك جون : تكلم بلا حرج ، فإنا نود أن نسمعك .

هوبرت : هذه الأميرة بلانش ، كريمة ملك أسبانيا .
تمت بصلة القرابة إلى ملك إنجلترہ .
انظروا إلى شبابها الغض ، وإلى شباب هذا الفتى
لويس ، ولى عهد فرنسا ،
فإذا كان الحب عنيفاً . ينشد الجمال .
فأنى له أن يجده فى صورة أبهى وأجمل منه فى بلانش ؟
وإذا كان الحب تقياً نقياً ينشد العفاف .
فأين يجده أصفى وأطهر مما هو عند بلانش ؟
وإذا كان الحب طموحاً ينشد النسب الرفيع .
فأى دم أجل وأسمى مما يجرى فى عروق الأميرة بلانش ؟
لقد كملت جمالا وعفافاً وحسباً ،
كذلك ولى العهد بلغ أوج الكمال فى كل شىء .

فإذا لم يبلغ تمام الكمال فليس ينقصه إلا أن يقال أنه ليس هى
وهى أيضاً منزهة عن كل نقص ،
إلا إذا كان من النقص ألا تكون هو ،
وهو يحكى لنا رجلا قد بورك نصفه ،
ولا تكمل بركته إلا بمثلها .
وكادت هى أن تبلغ المرتبة العليا فى تفوقها الرائع ،
ولكنها لن تبلغها إلا به .
أجل إنهما نهران من فضة ،
إذا اتحدا ارتفعت بذلك أقدار الشواطئ التى تحتويهما ،
وستصبحان أيها الملكان ، إذا ما زوجتما هذا الأمير من هذه الأميرة ،
بمثابة شاطئين يحتويان هذين النهرين ،
بعد أن اتحدا وأصبحا نهراً واحداً ، وأنتما تكنفانه وتحوطانه .
إن هذا الاتحاد سيفعل بأبوابنا المحكمة الإغلاق ،
أكثر مما تفعله المدافع الضخمة ،
وإذا تمت هذه الزيجة ،
قمنا على الفور بفتح طريق لكم ،

لتدخلوا منه بأسرع مما تستطيعه القذائف .
أما إذا لم يتم هذا الزواج ، فإننا سنكون أشد صمماً
من البحار الثائرة[١] ،
وأكثر جرأة من الأسد ، وأشد ثباتاً من الجبال الرواسى
والصخور الصماء ،
وعزمنا أمضى من الموت نفسه
حين يغلى بأسه ،
لكى نذودكم عن هذه المدينة .
الدعى : هذا موقف مفاجئ
جدير أن يجعل الموت ينهض وينفض عنه أسماله ،
وتدب فى عظامه الحياة ، وإن أعجب فعجبى من هذا
المفوه ،
الذى يلفظ الموت والجبال والصخور والبحار .
ويتحدث فى سهولة، عن الأسود وزئيرها المرعد ،
كما تتحدث فتاة فى الثالثة عشرة عن كلبها الصغير .
وأى رجل من رجال المدفعية الأشداء أنجب هذا الرجل
الشديد البأس ؟

---

(١) مثل يضرب لمن لا يؤثر فيه نداء أو تهديد .

إن كلامه يحكى المدافع بنيرانها ودخانها وفرقعتها .
وفى لسانه مثل العصا يقرع بها أسماعنا .
وما من كلمة فاه بها
إلا لها وقع أشد من ضربات فرنسا .
وأقسم أنى ما تأثرت قبل بألفاظ على هذا النحو ،
منذ أن بدأت أنطق .

اليانور : يا بنى ، استجب لهذا الرأى . وأبرم هذا الزواج ،
وقدم مع ابنة أختك منحة كريمة ،
لأنك بهذا الرباط تؤمن حقك فى التاج ،
الذى يعوزه الآن مثل هذا التأمين ،
وتحرم هذا الفتى الفج من شعاع الشمس ،
الذى يوشك أن يجعل منه ثمرة ضخمة ،
وكأنى أرى علائم الرضى فى محيا ملك فرنسا .
أنظر إليهم كيف يتهامسون !
فبادر بحثهم على ذلك ، ونفوسهم معدة لقبول هذه الأمنية ،
لئلا تبرد حماسة فليب ورغبته
فى الأخذ بهذا الاقتراح
وهى الرغبة التى تأثرت بعبارات الاسترحام والرأفة والندم

التى نطق بها هوبرت ، فيعود كما كان.

هوبرت : ما بالكما يا صاحبى الجلالتين ،
لا تستجيبان لهذا الرجاء الودى ، الذى تتقدم به مدينتنا المهددة ؟

الملك فليب : ليتكلم ملك إنجلتره أولا ،
فهو الذى سبق إلى توجيه الخطاب إلى هذه المدينة ، فما قولكم ؟

الملك چون : لئن كان نجلكم الأمير ، وولى عهدكم ،
يستطيع أن يطالع عبارة الحب فى صفحات هذا السفر الجميل ،
فإن بائنتها ستعادل بائنة ملكة ،
فلتكن ولاية آنجو ، وتورين الجميلة ، ومين وبواتييه ،
وكل ما يتبع تاجنا وملكنا فى هذا الجانب من البحر
ما عدا هذه المدينة التى نحاصرها الآن —
لتكن هذه كلها
زينة يزدان بها فراش عرسها .
وتجعلها غنية بألقابها ومراتبها ومقامها ،
كما هى غنية بحسنها وتربيتها وحسبها ،
فتصبح بذلك مساوية لأية أميرة فى العالم .

الملك فليب : ما قولك يا بنى ؟ هلم وتأمل هذا المحيا .
لويس : لقد تأملته يا مولاى ، وإنى لأجد فى عينها
آية عجباً أو قل أعجب العجب .
فقد أبصرت خيالى منطبعاً فى عينها .
وهذا الخيال — وهو خيال نجلك الذى أنجبته —
قد استحال شمساً وأحال نجلك خيالا .
ولعمرى إنى ما أحببت نفسى يوماً ،
حتى أبصرت نفسى الساعة
مرسوماً على صفحة عينها الصافية البراقة[1] .
(يتهامس هو وبلانش) .
الدعى : (لنفسه) مرسوم فى صفحة عينها البراقة !
معلق ، كالمشنوق ، فى غضون جبينها العابس !
طريح منبطح فى قرارة قلبها ،
فكأنه يحس أنه فى حبه خائن يلقى جزاء خيانته .
وا أسفى على أن يحظى بمثل هذا الحب مخلوق حقير
كهذا المرسوم المشنوق الصريع[2] !

(١) من خصائص « حب القصور » كما يزعم الشراح أن يحب العاشق نفسه ، إذا ما رأى أنه موفق فى اختيار حبيبته .

(٢) يسخر الدعى من لويس من حبه لأنه — حسب بعض الروايات — كان يود الزواج من بلانش ، ولم يورد شكسبير سوى هذه العبارة للدلالة على هذا الأمر .

بلانش : (تخاطب لويس) إن إرادة خالى فى هذا الأمر هى
إرادتى ،
فإذا رأى فيك أمراً أعجبه
فإن ما يراه ويثير إعجابه
فى وسعى أن أوفق بينه وبين إرادتى .
أو بعبارة أصح ،
سأحمل نفسى فى يسر على أن أحبه .
ولا أستطيع يا سيدى أن أذهب إلى أبعد من هذا .
فأزعم أن كل ما أراه فيك يستحق الحب ،
بل كل ما أقوله إنى وإن كنت ضنينة فى تقديرى لك
وفى الحكم عليك
فإنى لا أجد فيك شيئاً يستحق أن يكره .

الملك جون : وما رأيكما أيها الفتى والفتاة ؟ ما الذى تراه ابنة أختى ؟

بلانش : إنها ستفعل دائما ما يمليه الشرف
من الاستجابة لرأيكم الذى يمليه العقل على الدوام .

الملك جون : تكلم إذن أيها الأمير ! هل تحس يا ولى العهد بالحب
لهذه الأميرة ؟

لويس : سلنى هل أستطيع أن أكف عن حبها ؟
فلعمرى إن كلفى بها لصريح بغير تكلف .

الملك جون : إذن لقد وهبتك معها المقاطعات الخمسة :
فولكويسين[١] ، وتورين ، ومين ، و بواتييه ، وآنجو ،
وأهبك فوق ذلك
ثلاثين ألف مارك كاملة من النقد الإنجليزى [٢] .
فإذا أرضاك هذا يافليب ملك فرنسا ،
فر ابنك وابنتك بأن يصل يده بيدها .

الملك فليب : لقد أرضانى تمام الرضى ، فهلم وصل يدك بيدها .

الأرشيدوق : أجل ولتتصل الشفاه أيضاً ،
فقد كان هذا دون ريب ما فعلته يوم خطبتى .

الملك فليب : والآن يا أهل آنجيه ! افتحوا أبوابكم ،
لتدخلها هذه المحبة التى خلقتموها .
ولن تلبث حفلة الزواج
أن تقام فى كنيسة القديسة مارى .
ترى أليست الأميرة كنستانس فى هذا الجمع ؟
أكبر الظن أنها ليست هنا ،

---

(١) مقاطعة Volquessen حول بلدة روان فى السين الأسفل ، وملوك انجلترة فى ذلك الزمن يرجعون إلى أصل فرنسى ، فبقيت لهم ممتلكات فيما ندعوه الآن فرنسا . والمقاطعات الأخرى فى حوض نهر اللوار وما يليه .

(٢) المارك فى عملة ذلك الزمن قطعة من الفضة قيمتها ١٣ شلناً وأربعة بنسات .

لأنها لو شهدت هذا الزواج لما تم بهذه السهولة ،
ولكن أين هى وابنها ؟ ليتكلم من يعرف .

لويس : إنها واقفة لدى خيمة سموكم ، يعلوها الحزن والكمد والغضب .

الملك فليب : أجل ولعمرى إن هذا الميثاق الذى عقدناه
سيجعل حزنها مما يصعب شفاؤه
أى أخى ملك إنجلتره ، أما من سبيل لإرضاء هذه السيدة الأرملة ؟
من أجل حقها أتينا إلى هنا ،
ثم تحولنا — علم الله — وسلكنا وجهة أخرى ،
تمليها مصلحتنا .

الملك چون : إنا سنشفى جميع الجراح ،
لأنا سنجعل آرثر الشاب دوقاً لبريتانيا
وأيرلا لرتشمند ،
وسيداً على هذه المدينة الجميلة الغنية .
ادعوا الأميرة كنستانس ،
وليذهب أحد الرسل بسرعة لاستدعائها إلى حضرتنا ،
ولئن لم نستطع أن نجيبها إلى جميع رغباتها ،
فإنا نرجو أن نوفق إلى مرضاتها ،

ونكافئها بما يكف من شكواها .
والآن هلم بنا ، ولنسرع ما استطعنا ،
إلى هذا الحفل العظيم ، الذى لم نكن نتوقعه ، ولم نعد له عدته .

(يخرج الجميع ما عدا الدعى)

الدعى . يا له من عالم مجنون ، ويالهما من ملكين مجنونين ،
وياله من اتفاق جنونى !
فالملك جون ينزل بمحض رغبته عن شطر من ملكه ،
لكى يذود آرثر عن المطالبة بالملك كله .
وملك فرنسا ، الذى أوحى إليه ضميره أن يتدرع ،
ودفعته الحماسة وحب الخير
لأن يغشى الميدان ، جنديًّا من جنود الله ،
لم يلبث أن وسوس إليه الشيطان ، ذلك الخبيث المضلل المغوى ،
الذى لا يفتأ يثنى العزائم ، ويمعن على الدوام فى تحطيم المواثيق ،
وينقض الأيمان فى كل يوم ،
لا تنجو من سطوته الملوك والصعاليك ، ولا الشيوخ والشباب ،

حتى العذارى ،
فالعذراء التى ليس لديها كنز أثمن من هذا اللقب ،
سرعان ما يسلبها إياه ويتركها حليفة البؤس والشقاء .
إن هذا الكائن ، المخادع الناعم الملمس ،
يهيمن على الجميع ؛
ويتملقهم ويغريهم بالمغانم .
فصارت المغانم هى القوة المرجحة فى العالم .
ولقد كان العالم متعادلا من تلقاء نفسه ،
تجرى أموره فى استقامة وعدل ، وسهولة ويسر .
حتى ظهرت المغانم ، فأخلت بالموازين ، واستهوت الضمائر والأفئدة ،
وقضت على كل عدل وإنصاف وقصد واستقامة .
هذه المغانم ، هذه القوة المرجحة . هذه الفتنة ذات المقدرة الهائلة على التحويل والتبديل ،
قد طرفت أجفان ملك فرنسا ، السريع التقلب .
فصرفته عما اعتزم من تقديم العون والمساعدة ؛
وحولته عن حرب شريفة . اتخذ لها العدة ، ووطد عليها العزيمة ،
إلى سلم أمضاه ، بلغ منتهى الخسة والدناءة .

ولكن ما بالى أسخر من المغنم ، وأمعن فى السخرية ؟
اللهم إلا لأنه لم يحاول استمالتى بعد ،
وما أحسب أن بى قدرة على الرفض والامتناع ،
إذا ما أقبلت دنانيره الذهبية تصافح راحتى .
ولكن ما دامت كفى لم تتعرض لإغراء بعد ،
فإنى سأظل أسخر من الأغنياء كما يفعل المتسول الصعلوك ،
ممعناً فى السخرية ما دمت فقيراً معدماً .
أنادى أن ليس فى العالم خطيئة غير الثراء
حتى إذا صرت غنياً ،
كان دأبى عندئذ أن أنادى بأن لا رذيلة فى العالم غير الفقر .
ولئن كانت المغانم تدفع الملوك إلى نقض العهود .
فيا أيها الكسب كن لى سيداً ، أكن لك عبداً .
(يخرج)

الفصل الثانى

المنظر الثانى[١]

سرادق ملك فرنسا

(تدخل كنستانس وآرتر ودوق سالسبورى)

كنستانس أحق أنهما ذهبا ليعقدا زواجهما ، ذهبا ليبرما ميثاق
صلح وسلام ؟
فيتحد الدم المشوب بالدم المشوب[٢] ويرتبط الفريقان
برباط الصداقة !
— اتكون بلانش عروساً للويس ، وتنال بلانش تلك
الإمارات ، والمقاطعات ؟
ليس الأمر كما تقول ، ولقد أسأت التعبير ، أو أسأت
الفهم لما سمعت ،
لذلك أنصحك أن تعيد سرد قصتك مرة أخرى .
فمحال أن يكون الأمر كما ذكرت ، بل هى مجرد أقوال

---

(١) بعض النقاد يجعل هذا المنظر فاتحة الفصل الثالث .
(٢) المشوب غير الصريح ، تزعم كنستانس ، كعادتها إذا غضبت أن كلا العروسين ليس خالص النسب .

زعمتها ،
وهيهات لمثلى أن تصدقك ؛
فما ألفاظك سوى أنفاس تتصاعد من فم رجل من عامة الناس .
فثق إذن أنى لا أثق بصحة كلامك ،
فإن ملكاً عظيماً قد أقسم لى على عكس ما تقول .
وستنال أنت ما تستحقه من العقاب نظير إزعاجى على هذا النحو ،
فأنا امرأة عليلة ، تنتابنى المخاوف ،
وقد لقيت من الظلم ما ملأ نفسى خوفاً .
أرملة[1] لا زوج لى ، عرضة لأن يعرونى الخوف ،
وقد ولدت امرأة جد فروقة بطبعها ،
ولو أنك اعترفت لى الآن بأنك إنما كنت تمزح ،
لما استطعت أن أهدأ ، بعد آن عرانى كل هذا الانزعاج ،
بل سأظل أرتعد وأضطرب يومى كله .

---

(١) ليس هذا صحيحاً من الوجهة التاريخية فكنسانس كانت أرملة جيوفرى ولكنها اقترنت حوالى ذلك الوقت بزوجها الثالث أخى الفيكونت توراس بعد أن طلقت من زوجها الثانى راتولف إيرل تيشستر .

ما بالك تهز رأسك ، وماذا تعنى بذلك ؟
ومالك تلقى على ولدى نظرات حزن وأسى ؟
وماذا تعنى بوضع يدك على صدرك هذا ؟
ولم اغرورقت عينك بالدمع الحزين
كأنها نهر جارف ارتفع ماؤه إلى حافة شاطئه ؟
أهذه العلامات الحزينة دليل يثبت صحة ما زعمت ؟
إذن تكلم مرة أخرى ، ولا تعد سرد قصتك كلها .
بل اذكر كلمة واحدة ، هل القصة صادقة أو كاذبة ؟

سالسبورى : إنها صادقة بقدر ما أعتقد أنك تظنينها كاذبة
وبقدر ما تجدين فيها من أسباب تثبت لك أنى أقول الحق .

كنستانس : لئن كنت تريد أن تعلمنى صدق هذه النكبة ،
فعلم هذه النكبة كيف تقضى على حياتى .
فإنى أريد أن يلتقى هذ التصديق وأجلى المحتوم ،
كما يتصادم رجلان مستميتان ، قد بلغ بهما الغضب أقصاه .
فلا يكادان يلتقيان حتى يخرا صريعين .
أيزوجون بلانش من لويس ! فأين تذهب أنت

يا ولدى ؟
وإذا تصادق ملك فرنسا وملك إنجلترة ، فماذا يكون
مصيرى ؟
اذهب أيها الرجل . إنى لا أطيق رؤيتك ؛
فإن هذا النبأ جعلك فى عينى رجلا دميماً كريهاً .
سالسبورى : وماذا جنيت يا سيدتى ، وأى ذنب اقترفت .
سوى أنى ذكرت الجرم الذى اجترحه الآخرون ؟
كنستانس : إنه لجرم بلغ من الخبث والشناعة
أن كل من يذكره يرتكب إثماً كبيراً .
آرثر : ألتمس منك يا سيدتى أن تلزمى الهدوء .
كنستانس : لو أنك — يا من تريد منى التزام الهدوء —
كنت قبيحاً دميماً ، عارا على الأم التى أنجبتك ،
ملوثاً جلدك تلويثاً كريهاً وممتلئاً بقعاً ،
أعرج ، أحمق ، وأشل أحدب ، أسود السحنة ،
مشوه الخلق ، مرقع الوجه بالشامات القذرة ، والوصمات
الزرية ،
لما اكترثت لشىء ، وكنت خليقة أن ألتزم الهدوء ،
لأنى كنت عندئذ لا أضمر لك حباً ،
ولم تكن أنت جديراً بشرف نسبك ، ولا تستحق

التاج ،
غير أن الأمر بخلاف ذلك، فأنت وسيم جميل .
وقد اتفقت الطبيعة والحظ عند مولدك . على أن تجعلاك
عظيماً ،
وقد وفت الطبيعة بما وعدت
وفي وسعك أن تفاخر الريحان والورد في أكمامه بما أغدقته
عليك من الهبات ،
أما الحظ فقد خانك ، إذ استطاعوا أن يغروه ويصرفوه
عنك ،
وهو مع ذلك لا ينفك يداعب عمك جون في كل ساعة
وقد وضع يده الذهبية في يد ملك فرنسا
ليطأ ما لك من حقوق السيادة...
وسخر بجلالته تسخيراً دنيئاً لغرضهما
إن ملك فرنسا قد أغواه الحظ ، كما أغواه جون :
الحظ الفاجر وجون الغاصب ،
خبرني يا هذا ، ألم ينقض ملك فرنسا عهده وميثاقه ؟
اذهب إليه فاسقه من الكلام سمّاً زعافاً يقتله .
وإلا فابتعد عني ودعني وحدي لهذه الويلات ،
التي لا يحملها غيري .

سالسبورى : عفواً يا مولاى .
فإنى لا أستطيع العودة إلى الملكين إلا معك .
كنستانس : بل تستطيع ، وعليك أن تعود ولن أذهب معك ،
إنى أريد أن أعلم أحزاني الكبرياء والأنفة ،
فإن الكبرياء من دأب الأحزان وهى تذل الأعناق .
دع الملوك يحضروا إذن ، ليشهدوا بثى وحزنى .
إن حزنى من الضخامة
بحيث لا تستطيع حمله سوى هذه الأرض الضخمة الثابتة .
فلأقيمن أنا وأحزانى على هذه الأرض ،
فإنها هى عرشى ، وليأت الملوك ، ويركعوا لديها .
(تجلس على الأرض ويخرج سالسبورى)

الفصل الثالث

المنظر الأول

سرادق ملك فرنسا

كنستانس وآرثر جالسين ، يدخل الملك چون والملك فليب ، ولويس وبلانش ، وإليانور والدعى ، وأرشدوق النمسا ، وسالسبورى والحاشية .

الملك فليب : إن النبأ صدق يا ابنتى العزيزة .
وسيكون هذا اليوم المبارك يوم عيد فى فرنسا دائماً ،
وقد أرادت الشمس الباهرة أن تحتفل بهذا اليوم .
فظلت مشرقة ساطعة .
وكانت كالكيميائى ترسل أشعتها الوهاجة إلى الأرض
الجافة المجدبة ،
فتستحيل ذهباً براقاً .
إن الدورة السنوية ، التى تعيد إلينا هذا اليوم
ستشهد فيه دائما يوماً مقدساً .

كنستنس : بل يوماً شقياً منكوداً . لا يوماً مقدساً ! .
(تنهض واقفة)

ما الذى امتاز به هذا اليوم ، وما الذى صنعه ،
ليستحق أن يسجل بأحرف من ذهب
فى التقويم الرسمى ، بين الأعياد الرئيسية ؟
بل الأجدر بكم أن تمحوه من أيام الأسبوع ،
لأنه يوم عار وظلم ونقض للأيمان .
وإذا كان لابد لهذا اليوم أن يبقى
فعلى كل زوج حامل أن تبتهل إلى الله ألا تضع حملها
فى هذا اليوم ،
لكيلا تخلف الأقدار ظنها وآمالها ،
وعلى كل ملاح أن يتعرض للأخطار فى أى يوم عدا
هذا اليوم ،
ولتعقد الصفقات فى أى يوم غير هذا اليوم ،
فإن كل شىء مبتدأه فى هذا اليوم لابد أن يسوء
منتهاه ،
بل إن الأمانة نفسها لتتحول فيه إلى خيانة جوفاء .

الملك فليب : وحق السماء يا سيدتى ، لن ندع لديك سبباً ،
يحملك على أن تصبى لعناتك على الأحداث السعيدة
التى تمت فى هذا اليوم ،

ألم أجعل جلالة ملكى ، رهنًا لديك ؟
كنستانس : لقد خدعتنى بجلالة زائفة .
ليس فيها من الجلالة سوى مظهرها ، حتى إذا لمستها
وبلوتها ألفيتها لا قيمة لها ،
لقد نقضت أيمانك ، نعم نقضتها ،
فلقد أتيت بأدرعك وسلاحك لكى تسفك دماء أعدائى ،
ثم لم تلبث أن بسطت الأذرع لتحتضنهم وتشد أزرهم .
وضاعت سطوة الحرب وصولة القتال
وسط مظاهر المحبة والود المصطنع .
إن هذا الاتفاق لم يقم إلا على ظلمنا واضطهادنا .
فيأ أيتها السموات العلية ! سلطى أسلحتك الفتاكة على
هؤلاء الملوك الحانثين !
هذه صيحة أرملة ، فاستجيبى لى أيتها السموات ،
وكونى لى زوجاً !
ولا تدعى الساعات فى هذا اليوم اللعين ،
تمضى فى أمان وسلام ، بل أثيرى الشقاق والنزاع
المسلح
بين هذين الملكين الحانثين ، قبل أن تغرب الشمس .
استجيبى لى ، ألا فاستجيبى لى !

الأرشيدوق   يا سيدتى كنستانس ، الزمى السكون .

كنستانس : بل الحرب ، الحرب ، لا سكون ولا سلام ، إن هذا
السلام فى نظرى هو الحرب بعينها .
أى أمير النمسا وليموج !
إنك تلطخ بالعار هذا الرداء الذى سلبته فى الحرب[١] ،
أيها العبد التعس الجبان !
يا لك من شخص ضئيل الشجاعة عظيم الخسة والنذالة .
حريص أبداً على الانتصار للجانب القوى ،
ومحالفة من حالفه الحظ ، فلا تجرد السلاح إلا والحظ
عن كثب ، يهديك سبيل الفوز والنجاح
إنك أنت أيضاً حنثت . وذهبت تتملق الجاه والسلطان
فيالك من أحمق يصول ويجول ، ويتشدق ويضرب
الأرض برجليه ،
ويقسم الأيمان على نصرى وشد أزرى !
أنت أيها العبد الفاتر الهمة ،
ألم تقل فى تأييدى كلمات كأنها الرعد القاصف ،
وتقسم أنك محاربى المخلص ، وتناشدنى

---

(١) إشارة إلى جلدة الأسد الذى استولى عليه من ريتشارد .

آن أعتمد على طالعك السعيد وجدك الميمون . وعلى قوتك الهائلة ،
ثم تنقلب الآن إلى جانب أعدائى ؟
أمثلك يرتدى إهاب الأسود ؟ يا للعار !
اخلعه بالله . والبس جلد عجل على هذا الجسد الخائر الواهى .

الأرشيدوق : لو أن رجلا نطق بهذه الألفاظ !

الدعى : والبس جلد عجل على هذا الجسد الخائر الواهى .

الأرشيدوق : لن تجرؤ يا شقى على ترديد هذه الألفاظ خوفاً على حياتك .

الدعى : والبس جلد عجل على هذا الجسد الخائر الواهى .

الملك چون : اكفف عن هذا . إنك لتنسى نفسك .

(يدخل پاندولف)

الملك فليب : ها هو ذا مندوب قداسة البابا .

پاندولف : أحييكم يا خلفاء الله على الأرض .
وإليك يا ملك چون أحمل رسالة مقدسة :
أنا پاندولف ، كردينال مدينة ميلان ،

ومندوب البابا إنوسنت[١] فى هذه الديار[٢] .
أسألك باسمه وبحق الدين ،
لماذا دأبت على ازدراء الكنيسة ، أمنا المقدسة ،
ومنعت بالقوة ستيفن لانجتون ،
الذى اخترناه رئيساً لأساقفة كنتربرى ،
من ممارسة سلطاته المقدسة ؟
هذا هو السؤال الذى أوجهه إليك
باسم والدنا الأقدس ، السابق ذكره ، البابا إنوسنت .

الملك جون : عجباً كيف جاز لشخص من التراب
أن يوجه الأسئلة إلى مقام الملوك المقدس الرفيع ؟
إنك أيها الكردينال لن تجد لاستجوابنا
حجة أكثر تفاهة وحقارة ،
وإثارة للسخرية ، من البابا .
فعليك أن تبلغه ذلك ، وأن تضيف إلى هذا ما تسمعه
الآن من لسان ملك إنجلترة :
إننا لن نسمح لقسيس إيطالى

---

(١) هو إنوسنت الثالث ، من أكبر الحريصين على السلطة البابوية .

(٢) لقد خلط شكسبير بين پاندولف هذا مندوب البابا وبين پاندولف الكردينال كما خلط بينهما غيره من الكتاب .

أن يجبى ضريبة أو جزية فى بلادنا ،
وإن كنا نجب صاحب الكلمة العليا
بإذن الله ، وبإذنه تعالى.
نتولى الحكم والسلطان ،
دون حاجة لأن تسندنا يد آدمية .
أبلغ البابا هذا وقل له...
إنه ليس له ولا لسلطانه المغتصب عندنا أى احترام .

الملك فليب : أخى ملك إنجلترة إنك بهذا ارتكبت تجديفاً .

الملك چون : لئن رضيت أنت وجميع ملوك النصرانية
جهلا منكم وغباوة بزعامة هذا القسيس
خوفاً من أن تلعنكم تلك اللعنة ، والتى تتقى ، بالمال ،
وقبلتم أن تشتروا الصفح والغفران بالذهب الخسيس
الذى لا تعلو قيمته عل التراب
من رجل لا يبيعكم غفران الله ،
بل غفرانه هو الفاسد الذى لا قيمة له ،
لئن رضيت أنت والآخرون بهذه القيادة الغبية ،
وأن تشتروا الشعبذة بالمال ،
فإنى أنا وحدى سأعارض ذلك البابا ،
وأعد أصدقاءه من أعدائى .

باندولف : إذن فإنى بما لى من السلطة الشرعية ،
أقضى عليك باللعنة والحرمان ،
ولتحل البركة على كل من يثور
وينقض ولاءه لكافر مارق ،
وطوبى لتلك اليد —
ولصاحبها التكريم والتقديس.
التى تغتال بطريقة خفية
حياتك الشريرة الكريهة .

كنستانس ألا فليكن من حقى الشرعى
أن أضيف لعنتى إلى لعنة روما .
فيا والدى الطيب الكردينال سألتك أن تطلب إلى الله
أن يستجيب للعناتى الحادة
فلن يستطيع لسان أن يصب عليه اللعنات إلا متأثراً
بما لحقنى من الأذى والضرر .

باندولف : إن اللعنة التى أوجهها يا سيدتى تستند إلى القانون
والمواثيق .

كنستانس : وكذلك لعناتى . ولئن عجز القانون عن إحقاق الحق ،
فقولوا إن القانون يقضى بألا يمنع القانون الظلم .

لقد عجز القانون هنا عن إعطاء ولدى حقه فى الملك ،
لأن الذى بيده ملكه بيده القانون أيضاً ،
فإذا كان القانون نفسه قد أصبح باطلا كل البطلان ،
فكيف يجوز للقانون أن يحرم على لسانى أن يصب اللعنات[1] .

باندولف : أى فليب ملك فرنسا ، إنى أنذرك بأن ستحل بك اللعنة
إذا لم تنزع يدك من يد هذا الملحد الخاسر .
ثم احشد قوى فرنسا لمحاربته ،
ما لم يخضع لروما الخضوع التام .

إليانور : أتراك اصفر وجهك يا ملك فرنسا ؟ إياك أن تنزع يدك من يده .

كنستانس : أجل أيتها الشيطانة ، تخافين على ملك فرنسا أن يدركه الندم ،
وينزع يده ، فينجو من عذاب السعير .

الأرشيدوق : أيها الملك فليب ، ناشدتك أن تستمع لقول الكردينال .

الدعى : وعلق جلد عجل على جسده الخائر الواهى .

الأرشيدوق : أيها الشقى ، لابد لى أن أحتمل هذه الإهانات

---

(١) تخلط كنستانس بين القانون الذى أعطى الملك جون حقه فى الملك ، وبين قانون الكنيسة الذى يحرم على كل إنسان أن يلعن .

لأنى —

الدعى : احتملها فى جيوب سراويلك . فهى أفضل مكان لها .

الملك جون : أى فيليب ، ماذا تقول رداً على الكردينال ؟

كنستانس : وماذا عساه أن يقول غير ما يقوله الكردينال ؟

لويس : وازن يا والدى بين الأمرين :
بين أن تحل بك لعنة روما ، وهى عبء ثقيل
وبين فقدان صداقة إنجلترة ، وهذا أخف وقعاً ،
اختر أهون الضررين .

بلانش : أهونهما لعنة روما .

كنستانس : الثبات يا لويس ، ولا تستمع لإغراء إبليس
فى زى عروس لم تقترن بها بعد .

بلانش : إن السيدة كنستانس لا يحدوها الإيمان
بل الغرض .

كنستانس : لو أنكم أعنتمونى فى شدتى
التى لا بقاء لها إلا لعدم وفائكم بعهودكم ،
لكان فى ذلك تصديق للمثل المشهور :
إن الإيمان يبعث من جديد ، إذا قضى الغرض وذهبت الشدة .
فإن أردتم أن تحيا العهود فاقضوا على شدائدى

أما إذا أبقيتم عليها فإنكم بذلك تقضون على العهود والمواثيق .

الملك چون : إن ملك فرنسا متأثر ، لا يحير جواباً .

كنستانس : ابتعد عنه ، وأحسن الجواب .

الأرشيدوق : أجل أيها الملك فليب افعل هذا ولا تتعلق بأهداب الشك طويلاً .

الدعى : لا تتعلق إلا بأهداب جلد العجل ، أيها العلج الظريف اللطيف .

الملك فليب : أنا فى حيرة لا أدرى ماذا أقول .

پاندولف : أيّاً كان الذى تقوله ، فإنك ستقع فى حيرة أشد حين ترى نفسك وقد حلت بك اللعنة والحرمان .

الملك فليب : أيها الأب المبجل ، ضع نفسك فى مكانى ،
وقل لى ماذا عساك كنت صانعاً فى مثل موقفى هذا ،
لقد عقدت الخناصر منذ قليل بين هذه اليد الملكية وبينى ،
واتصل الروحان بصلات قوية ،
يعززها هذا القران ، الذى توثقت عراه
بقوة الدين والأيمان المقدسة .
إن آخر ألفاظ فهنا بها هى تبادل المواثيق والعهود المقدسة ،

على الوفاء والسلام والمودة والحب الخالص
ما بين شخصينا ومملكتينا .
ومن قبل أن تعقد بيننا هذهِ الهدنة بقليل جداً ،
بمقدار ما يلزم من الوقت لغسل أيدينا
استعداداً لعقد هذا الحلف الملكى للسلام والمهادنة ،
كانت تلك الأيدى ملوثة ملطخة إلى أبعد حد ،
بدماء المذابح التى أثارتها شهوة الانتقام ،
للملكين أخذ منهما الغضب مأخذه .
فهل يليق بهذهِ الأيدى ، التى تطهرت من الدماء منذ قليل ،
وتصافحت منذ هنيهة على الحب المتبادل بينها ،
أن تنقض هذا العهد ، وهذه المودة الخالصة ؟
هل يجوز لنا أن نعبث بالأيمان والمواثيق ، وأن نسخر بذلك من السماء
وأن نجعل من أنفسنا أبناء عاقين للدين ،
فننزع أحدنا كفه من كف صاحبه ،
ونحنث باليمين التى أقسمناها ،
ونستبدل بالعرس الباسم الآمن ، حرباً شعواء ؛
ونلطخ بالعار جبين الوفاء والإخلاص ؟

فيا أيها السيد الأمجد ، والأب المبجل ،
جنبنا هذا المصير
وابتكر من فيض رحمتك
وسيلة كريمة هادئة ،
فيكون من حظنا أن نطيع أمرك ونستبقى صداقتنا .

باندولف : إن كل شئ عبث فى عبث وكل نظام هو الفوضى بعينها ،
ما لم يكن ينطوى على العداء لإنجلترة .
إذن هلم إلى السلاح ، ولتكن البطل المدافع عن كنيستنا ،
وإلا فلتصب الكنيسة أمنا لعنتها ،
لعنة الأم على ابنها العاق .
وإنه لأسلم لك يا ملك فرنسا أن تمسك باسان أفعى ،
أو براثن أسد ثائر
أو بأنياب نمر جائع
من أن تمسك ، وتسالم
اليد التى تقبض عليها الآن .

الملك فليب : أسهل على أن أنفض اليد من أن أنقض العهد .

باندولف : إنك بهذا تواجه عهداً بعهد .

وتضع قسما بإزاء قسم ، كما لو أنهما عبثا لحرب أهلية
وتناقض ميثاقاً اتخذته بميثاق اتخذته من قبل .
ألا فليكن عهدك الأول ، الذى أقسمته للسماء
بأن تكون البطل المدافع عن الكنسية ،
هو الذى تؤديه وتفى به أولا ،
أما ما أقسمته بعد ذلك من يمين ، فإنك وجهتها ضد
نفسك ،
وما ينبغى لنفسك أن تفى بها ،
لأنك إذا أقسمت أن ترتكب الإثم ،
فإنه من الصواب أن تعدل عنه ،
لأن الخير فى تركه لا فى إتيانه ،
والرجوع عن الباطل يردك إلى الحق ،
ومن أخطأ السبيل فإن خطأ آخر يهديه سواء السبيل .
كالنار تطفئ النار
بعد أن يتأجج لهيبها .
إن الدين هو الذى يقضى بالوفاء بالقسم ،
ولكنك أقسمت قسما معادياً للدين ،
أى أن قسمك كان موجها ضد الشيء الذى تقسم به
وتجله .

وتريد الآن أن تجعل من يمين وسيلة لنقض يمينك الأولى

ضد اليمين الحقة الصادقة
ولئن جاز لك أن تقسم بأن تنقض عهداً أقسمته على الوفاء به ،
فأى مهزلة يصبح القسم والأيمان المغلظة ؟
إن قسمك هذا هو الحنث بعينه .
وأنت أشد ما تكون حنثاً حين تتمسك بذلك القسم ،
إذن تصبح يمينك الأخيرة
بالنسبة ليمينك الأولى بمثابة ثورة .
وخيانة من نفسك لنفسك .
وأعظم فوز تستطيع أن تظفر به الآن
هو أن تجعل من نزعاتك الصالحة الشريفة .
سلاحاً تقهر به تلك النزوات الجامحة .
ولمثل هذه الخطة المثلى قد توجهنا إليك برجائنا ودعواتنا ،
لعلك تستجيب إليها .
فإن لم تستجب فاعلم أن وقع لعناتنا
سيكون من الفداحة بحيث لا تجد عنها انفكاكاً .
بل يسحقك ثقلها حتى يوردك موارد اليأس والدمار .

الأرشيدوق : إن ترددك هو العصيان بعينه .

الدعى : أكل شيء عبث فى عبث ؟
أما من جلد عجل ندسه فى فمك ليسكتك ؟

لويس : أبى ، إلى القتال إلى القتال ؟

بلانش : أفى يوم عرسك ؟
تشن الحرب وتسفك الدم الذى تزوجته ؟
أتكون وليمة العرس من أشلاء القتلى ؟
وهل تصبح الأبواق الناعية والطبول الصاخبة ،
وأصوات جهنم التى تتصاعد منها ، هى نغمات الموسيقى لحفلاتنا ؟

أيها الزوج أنصت إلى !
ويلى ما أحدث لفظ « الزوج » فى فمى !
إنى من أجل هذا الاسم ، الذى لم أفه به من قبل .
أركع على ركبتى وألتمس منك ألا تمضى
لقتال خالى .

كنستانس : وأنا أخر على ركبتى
التى تحجرت من طول الركوع ، لكن أستحلفك
يا ولى العهد الفاضل ، ألا ترد القضاء الذى قضت
به السماء .

بلانش : الآن سأشهد مبلغ حبك .
وهل هناك دافع يدفعك أقوى من الإخلاص لزوجك ؟

كنستانس : إن الشيء الذي يهمه أيضاً هو شرفه .
شرفك يا لويس عليك أن تتمسك بشرفك .

لويس : يدهشني أن آنس في جلالتكم هذا الفتور .
أمام هذه المهام الجليلة التي تجتذبكم .

باندولف : لم يبق إلا أن أصب على رأسه اللعنة .

الملك فليب : لن تكون بك حاجة لهذا ، أي ملك إنجلترة . إني سأتخلى عنك .

كنستانس : لقد عادت جلالة الملك بكامل بهائها بعد أن نبذتها !

إليانور : بل الخيانة الفرنسية تنقض عهدها .

الملك جون : لتندمن يا ملك فرنسا على هذه الساعة ، قبل أن تمضي ساعة .

الدعي : أجل لابد له من الندم . والأمر رهن بالزمن .
الذي لا يلبث أن يحرك عقارب الساعات ، ويدق النواقيس .

بلانش : لقد توارت الشمس خلف سحب من الدماء . فوداعاً
أيها اليوم الصافي الجميل .
ليت شعري إلى أي الفريقين أمضي ؟

فأنا معهما جميعاً ، وكل من الجيشين ممسك بإحدى يدى ،
فإذا تحاربا وأنا ممسكة بكليهما ،
فسرعان ما يطاح بى وأمزق كل ممزق .
أى زوجى ، لن أستطيع أن أدعو لك بالنصر ،
ويا خالى لابد لى أن أدعو لك بالهزيمة ،
ويا والدى[1] لن أتمنى أن يحالفك الحظ .
ويا جدتى هيهات أن أتمنى تحقيق أمانيك .
فأنا الخاسرة دائماً ، أيًّا كان الفريق المنتصر ،
وخسارتى مؤكدة قبل أن يبدأ النزال .

لويس : إن حظك دائماً معى أيتها السيدة .

بلانش : وحيث يكون حظى يكون القضاء على حياتى .

الملك چون : اذهب يا ابن العم[2] ، واجمع قواتنا .
(يخرج الدعى) .
أى ملك فرنسا ، إنى أكاد أحترق بنيران الغضب ،
وإن غضباً تبلغ حرارته هذا المدى

---

(١) تقصد بذلك فليب أبا زوجها .

(٢) كثيراً ما يستخدم شكسبير لفظ ابن العم ، بدلا من ابن الأخ ، وكلمة ابن العم Cousin كانت تطلق أحياناً على الأقارب أيا كانوا .

لحليق ألا يطفئه شيء سوى الدم ،
ولن يكون هذا الدم سوى دم ملك فرنسا ، المحبب إلى نفسى .

الملك فليب : إن حرارة هذا الغضب ستحرقك وتحيلك إلى رماد ،
قبل أن تطفئ دماؤنا تلك النيران ،
وأولى لك أن تأخذ حذرك ، فإنك فى خطر داهم .

الملك جون : ليس بأعظم من الخطر المحدق بمن يهددنى ، هلم ولنسارع إلى السلاح .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الثانى

سهول بالقرب من آنجيه

(نفخ فى الأبواق، وحركات جنود ، يدخل الدعى حاملا رأس أرشدوق النمسا) .

الدعى : لعمرى إن المعركة لحامية الوطيس ،
وفى السماء شياطين تحلق وتنذرنا بالشر المستطير
هذا رأس الأرشيدوق ، بعد أن لقى مصرعه ،
أما فليب[1] فحى يرزق .

(يدخل الملك چون وآرثر وهوبرت)

الملك چون : احتفظ بهذا الفتى يا هوبرت ، وأنت يافليب تقدم .
لقد أغير على أمى وهى فى خيمتنا ،
وأخشى أن تكون وقعت فى الأسر .

الدعى : مولاى ، إنى خلصتها ،
وسموها الآن فى مأمن ، فاطمئن ولا تخف ،

---

(١) يعنى نفسه ، ولعل المؤلف أنساه أن اسمه الأول قد تغير .

ولكن لنتقدم ، فإن قليلا من العناء ، نحتمله الآن ،
سيؤدى إلى خاتمة حميدة لجهودنا .

(يخرجون)

(نفخ فى الأبواق ، وحركات جنود ، وتراجع ، يدخل الملك چون والبانور وآرثر والدعى وهوبرت ولوردات)

الملك چون : (يخاطب اليانور) ليكن ما تريدين ، ولتبق فخامتك فى المؤخرة
تحت حراسة قوية. (يخاطب آرثر) وأنت يا ابن العم لا تحزن ،
فإن جدتك تحبك ،
وعمك لن يكون أقل عطفاً عليك من أبيك .

آرثر : إن أمى سيقتلها الحزن من جراء هذا .

الملك چون : (يخاطب الدعى) يا ابن العم ، انطلق بأقصى سرعة إلى إنجلترة ،
وعليك قبل عودتنا إليها أن تهز حقائب رؤساء الأديرة .
وتستخرج منها بعض ما كنزوه ،
وتطلق سراح تلك الملائكة[1] الحبيسة .
إن الجيش الجائع لابد له أن يطعم مما جمع فى وقت السلم ،
ولك أن تستخدم تفويضنا إلى أقصى حد .

---

(١) نوع من العملة يحمل صورة ملك من الملائكة .

الدعى : إن عقوبة الحرمان فى مختلف صورها ، لن تردنى إلى الوراء ،
عندما يدعونى الذهب والفضة للتقدم إلى الأمام .
وهأنذا أغادر جلالتك . وأنت يا جدتى ،
سأصلى لأجل سلامتك ، إذا تذكرت يوماً ما أن أؤدى الفريضة .
اسمحى لى أن أقبل يدك مودعاً .

إليانور : وداعاً يا ابن العم .

الملك چون : وداعاً .

(يخرج الدعى)

إليانور : تعال يا قريبى الصغير ، لدى كلمة أقولها لك

(تنتحى ناحية بآرثر)

الملك چون : وأنت يا هوبرت ، تعال هنا أيها العزيز .
إننا مدينون لك بالشىء الكثير ،
إن فى جدران هذا الجسد روحاً تعدك دائنها ،
وفى عزمها أن ترد الجميل مضاعفاً ،
ويمين الولاء التى أقسمتها أيها الصديق ، بمحض اختيارك ،
ستظل مكنونة فى قلبى ، أعزها وأعتز بها .

ناولنى يدك ، لقد كنت أريد أن أقول شيئاً حسناً ،
ولكنى سأنتظر حتى أشفعه بعمل أحسن ،
فوحق السماء يا هوبرت ، إنى ليكاد يعترينى الخجل
حين أتحدث عن تقديرى لك .

هوبرت : إنى أدين لجلالتكم بالشىء الكثير .

الملك جون : لم يحدث بعد شىء يبرر ما تقول أيها الصديق الكريم
ولكن هذا الشىء لن يلبث أن يحدث .
ومهما كان سير الزمان بطيئاً ، فإن الفرصة ستتاح لى قريباً لمكافأتك .
كنت أريد أن أقول شيئاً ، ولكن دعنا منه الآن .
لقد حلقت الشمس فى السماء بروعتها وجلالها ،
واليوم صحو مشرق ،
يزهى بما امتلأ به العالم حوله من المباهج والمحاسن ،
وهيهات أن يصغى الآن إلى كلامى .
لكن إذا دق ناقوس نصف الليل بلسانه الحديدى وفوهته النحاسية ،
وأرسل رنينه فى جنح ليل يغشاه النعاس ،
وكانت وقفتى وإياك وسط المقابر ،

وقد ارتكبت من آلاف الذنوب
أو كان الهم والحذر قد استوليا عليك ،
فحرقا دمك وجعلاه غليظاً ثقيلا ،
بدل أن يكون كعادته خفيفاً يجرى فى الأوعية ،
ويثير الضحك والفكاهة العابثة
فى عيون الناس وخدودهم ،
وذلك أمر كريه لا يتفق مع الأغراض التى أنشدها[١] .
أو إذا كان بوسعك أن ترانى بغير عينيك ،
وتسمعنى بغير أذنيك ،
وتجيبنى من غير لسان ، مستعيناً على ذلك بفهمك وحده ،
دون حاجة إلى عينين أو أذنين ، أو إلى صوت الألفاظ الضار ،
إذن أستطيع أن أدلى إليك بأفكارى ،
على الرغم من هذا النهار اليقظ ، ومن ضوئه الساطع ،

---

(١) يشير شكسبير إلى القول المعروف فى زمنه بأن الغضب يجعل الدم ثقيلا ، والمرح يجعله خفيفاً . وخلاصة هذه العبارة الطويلة أن الأمر الذى يريد أن يتحدث به الملك چون لا يناسبه الهواء المشرق والمناظر البهيجة ، بل جو المقابر والغضب و « الصمت » فهو يريد تحريض هوبرت على قتل آرثر تلميحاً صريحاً .

ومع ذلك فإنى لا أريد أن أفعل ، على شدة حبي لك ،
ويقيني أنك أنت أيضاً تبادلني الحب .

هوبرت : إن حبي لك من القوة
بحيث أبادر — وحق السماء — بتنفيذ ما تكلفني به
ولو كان فيه هلاكي .

الملك چون : وهل أجهل هذا عنك ؟
أى هوبرت الطيب ، هوبرت ، هوبرت ، ألق نظرة
من عينيك
على ذلك الصبي ، ودعني أخبرك خبره ،
إنه أفعى تعترض طريقي ،
وحيثما خطوت خطوة بقدمي أراه كامناً أمامي ،
أفهمت ما أعني ؟
إنك المكلف بحراسته .

هوبوت : أجل وسأحرسه
بحيث لا يلحق جلالتك منه أدنى الأذى .

الملك چون : إذن الموت .

هوبرت : مولاى .

الملك چون : القبر .

هوبرت : إنه لن يعيش .

م ٢

الملك چون : حسبي ، الآن ينشرح صدرى ، أى هوبرت ، إن
حبي لك لشديد .
ولكنى لن أبوح الآن بما أريد هلك . فاذكر وعدك .
سيدتى ، وداعاً ،
سأبعث إلى جلالتك بأولئك الجنود لحمايتك .

إليانور : لك دعواتى وبركتى .

الملك چون : وأنت يا ابن العم ، هلم إلى إنجلترة ،
وستكون فى رعاية هوبرت ،
يرعاك بكل إخلاص . هيا إلى كاليه !

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الثالث

سرادق ملك فرنسا

(يدخل الملك فليب ولويس و پاندولف والحاشية)

الملك فليب : إذن لقد هبت عاصفة هوجاء
على أسطول من السفن الحربية
ففرقته ، ومزقته كل ممزق .

پاندولف : لنلزم الشجاعة والهدوء ، وسيجرى كل شىء على ما يرام .

الملك فليب : ما الذى عساه أن يجرى على ما يرام بعد كل ما جرى من الشر ؟
ألم نهزم ؟ ألم نفقد آنجيه ؟
ألم يقع آرثر فى الأسر ؟ ألم يلق كثيرون من الأصدقاء الأعزاء مصرعهم ؟
ألم يرحل ملك إنجلترة السفاح إلى إنجلترة ،
بعد أن نال من فرنسا ، وأنزل بها الأذى ؟

لويس : لقد استطاع أن يحصن ما استولى عليه :

وأمكنه أن يجمع بين السرعة وحسن التدبير ،
وبين النظام الهادئ والقتال الوحشى .
يا له من مثال يحتذى !
من ذا الذى قرأ أو سمع بشىء كهذا ؟
الملك فليب : لا بأس عندى أن ينال ملك إنجلترة هذا الإطراء ،
إذا استطعنا أن نجد أمامنا مثلا دوننا ممن جللهم العار
الذى سربلنا .

(تدخل كنستانس)

انظروا إلى هذه المقبلة علينا ! إنها جدث مطبق على
روح ،
وقد احتبست فيه الروح على كره منها .
إن جسدها لسجن وضيع للنفس المعذبة .
أرجوك يا سيدتى أن تصحبينا إلى حيث نمضى .
كنستانس : انظر الآن ! ما جره علينا سلمك ومهادنتك !
الملك فليب : صبراً ، أيتها السيدة الكريمة ، تجلدى يا كنستانس
العزيزة .
كنستانس : كلا ! لعمرى لن أقبل نصحاً ، ولن أتقبل عزاء ،
اللهم إلا إذا كان فيه القضاء على كل نصح
وكان هو العزاء الحق ، الموت ، الموت ،

ألا أيها الموت المحبب الجميل !
أيها النتن الزكى الرائحة ! أيها العفن الطاهر .
انهض من وسط الظلام الأبدى الذى ترقد فيه ،
أيها الرهيب . البغيض إلى السعداء !
انهض حتى ألثم عظامك الكريهة[1] .
وأضع عينى فى حفرتى جبهتك الغائرتين .
وأتختم على هذه الأصابع بدود منزلك .
وأكتم أنفاسى بترابك المقرف ،
حتى أصير جيفة بشعة مثلك .
تعال إلى . فاغراً فاك . وسأحسبك تبتسم .
فأقبلك بشراهة كأنى زوجتك . أجل يا معشوق البؤس والشقاء ،
تعال إلى .

الملك فليب : أيتها البائسة الجميلة . اهدئى !

كنستانس : كلا لن أهدأ ما دام فىّ نفس يجهش بالبكاء !
ليت لسانى كان فى فم الرعد ،
حتى أزلزل أرجاء الأرض بغيظى وحزنى .

---

(١) تتخيل الموت فى صورة هيكل عظمى بشع .

فأوقظ من رقاده ، هيكل الموت القاسى ،
الذى لا يستطيع أن يسمع صوت المرأة الضعيف ،
ويحتقر كل نداء من طراز مألوف .

بانلولف : ليس ما تنطقين به يا سيدتى حزناً بل جنوناً .

كنستانس : ما ينبغى لقداستك أن تلصق بى هذا التّهمة الكاذبة ،
فإنى لست بالمجنونة ، وهذا الشعر الذى أمزقه هو
شعرى .
واسمى كنستانس ، وكنت زوجة جفرى ،
والشاب آرثر نجلى ، وقد فقدته .
كلا ليس بى جنة ، وياليتنى كنت مجنونة .
لعلى عندئذ أن أنسى نفسى :
آه لو استطعت ذلك ، فأى حزن هائل أنساه !
أيها الكردينال ، ما أجدرك أن تدلى بموعظة فلسفية
تجعلنى بها مجنونة حقًّا ، فتصبح من القديسين .
ذلك أنى ما دمت غير مجنونة ، وأحس هذا الحزن
المبرح ،
فإنى عقلى سيبتكر الوسائل
التى تتيح لى الخلاص من هذه الويلات .
ويعلمنى كيف أقتل أو أشنق نفسى .

أما إذا اعترانى الجنون فإنى سأنسى ولدى ،
أو يدفعنى الجنون لأن أحسب الدمية المصنوعة من الخرق البالية ، هى ولدى .
كلا لست مجنونة ، وأحس إحساساً شديداً
بجميع ما يصيبنى من كل كارثة نزلت بى .

الملك فليب : اربطى غدائر شعرك ،
إنى لأرى فى كتل شعرها الغزير آيات الحب ،
فإذا تلونت شعرة ، مصادفة ، بلون الفضة ،
تجمعت حولها آلاف الشعيرات الصديقة ،
فتلتف بها فى حزن وإخلاص ،
كما يجتمع الأحبة المخلصون
الأوفياء وقت الشدائد .

كنستانس : إلى إنجلترة إذا شئت[1] .

الملك فليب : اربطى غدائرك .

كنستانس : أجل سأفعل ، ولكن لماذا أفعل ؟
لقد قمت بانتزاعها من أربطتها ، وأنا أصيح بصوت عال

---

(١) رد متأخر على دعوة الملك فليب إياها فى بدء الحديث أن تصحبه إلى حيث يمضى .

« ليت هاتين اليدين تقومان بتخليص ولدى .
كما أطلقتا هذه الشعرات من عقالها ! »
إنى لأحسدها على حريتها .
ومع ذلك فإنى سأعود فأقيدها فى رباطها ،
لأن طفلى المسكين سجين ،
وقد سمعتك يا والدى الكردينال تقول
إننا سنرى ونعرف أصدقاءنا فى السماء ،
فإن صح هذا القول ، فإنى سأرى ولدى مرة أخرى ،
ولكن هيهات أن يتاح لى ذلك ! فإن الذين ولدوا على مر الزمان ، منذ ولادة قابيل ، الطفل الذكر الأول ،
إلى من عساه قد ولد بالأمس من الأطفال ،
ليس بينهم مولود ، له كل تلك الصباحة والملاحة التى لولدى .
والآن سيغتال الحزن زهرتى اليانعة ،
ويطرد الجمال الباهر من خديه ،
فيبدو فى مثل كآبة الأشباح ،
وقد نال منه الهزال والشحوب كمن انتابته الحمى .
وسيقضى وهو فى هذه الصورة ، ثم يبعث كذلك .
فإذا لقيته فى رحاب السموات ،

فلن أستطيع معرفته .
إذن قضى على ألا أرى آرثر ، ولدى الجميل ، مرة أخرى .

پاندولف : إنك لتسرفين فى الاستسلام للحزن البشع .

كنستانس : هكذا ، يكلمنى من لم يرزق بولد يوماً من الأيام .

الملك فليب : إن حبك للحزن لا يقل عن حبك لابنك .

كنستانس : إن الحزن يشغل المكان الذى خلاه ولدى ،
فهو يرقد فى سريره ، ويصحبنى فى جيئتى وذهابى ،
ويتزيى بملامحه الجميلة ، ويردد ألفاظه ،
ويذكرنى بجميع حركاته الرشيقة ،
ويرتدى حلله ، ويملأ فراغها بشكله ،
أما يحق لى من أجل هذا أن أحب الحزن ؟
أودعكم الآن ! لو أن رزءاً مثل رزئى قد حل بكم
لواسيتكم بأحسن مما واسيتمونى .
لن أحافظ على تصفيف شعرى ،
بعد أن اضطرب عقلى وشعورى .
رباه ! ولدى ، بنى آرثر ، فتاى الجميل ،
حياتى ، سرورى ، غذائى ، كل ما فى هذا الوجود ،
سلوى حياة ترملى ، وشفاء أحزانى

(تخرج)

الملك فليب : سأتبعها فإنى أخشى أن تنال نفسها بسوء !

(يخرج)

لويس : لم يبق فى العالم شىء يجلب السرور إلى نفسى .
أصبحت الحياة مملة كالحديث المعاد
على السمع الفاتر لرجل غلبه النعاس .
إن هذا العار ، بمذاقة المر ، قد أفسد حلاوة كل شىء فى الحياة ،
فلم تعد تثمر سوى الخزى والعلقم .

باندولف : قبيل الإبلال من كل داء وبيل ،
بل فى اللحظة التى تستعاد فيها الصحة ويتم الشفاء ،
يكون المرض فى أقصى شدته ،
فإن الآلام حين تودعنا تكون وطأتها على أشدها ساعة رحيلها .
ماذا عساك فقدته بسبب هزيمة اليوم ؟

لويس : كل أيام المجد والفرح والسعادة .

باندولف : لو أنك قد كسبتها لكنت فقدتها بحق .
إن الحظ ، حين يضمر أعظم الخير للناس ،
يحدق فيهم بعين ملؤها التهديد والوعيد .

ومن أعجب الأمور أن تفكر فيما خسره الملك چون ،
فى هذا الأمر الذى يحسبه نصراً باهراً :
ألم يحزنك أن آرثر بات أسيراً فى يده ؟

لويس : يحزنى بقدر ما يسعده أنه ظفر به .

باندولف : إن عقلك ما برح فى حداثة شبابك .
فاستمع إلى حتى أخاطبك بروح المتكهن بالمستقبل .
إن كل لفظ أتفوه به الآن
هو بمثابة نسمة ترفع كل غبار أو هشيم أو عقبة
فى الطريق الذى سيقود خطاك
مباشرة إلى عرش إنجلترة .
انتبه إذن لما أقول : لئن كان چون قد قبض على آرثر ،
فمحال أن يقر لچون الضال قرار ، أو يهدأ باله ساعة
أو دقيقة أو لحظة ،
ما دام يجرى الدم الحار فى عروق هذا الطفل .
إن الصولجان الذى اغتصبته يد غاشمة ،
لا يحافظ عليه إلا بمثل العنف الذى اغتصب به ،
والرجل الواقف على منحدر زلق
لا يهمه أى الوسائل غير الشريفة يتخذ ليأمن السقوط ،
إذن لا بد من سقوط آرثر ،

حتى يظل چون واقفاً على قدميه .
فليكن هذا لأن شيئاً غيره لا يمكن أن يكون .
لويس : ولكن ماذا عسانى أكسب من سقوط الشاب آرثر ؟
باندولف : عندئذ تطالب ، بما لك من الحق المترتب على زواجك من بلانش ،
بجميع ما كان يطالب به آرثر .
لويس : وأخسر الحياة وكل شيء كما خسرها آرثر .
باندولف : يا لك من فج غُمر ، حديث العهد بهذا العالم القديم !
إن چون يرسم الخطط التى تفيد أنت منها . والزمن يعمل لصالحك !
فإن من يشترى سلامته بسفك الدم البرىء ،
لن يظفر إلا بسلامة يغمرها الدم والإجرام ،
فإن ارتكابه هذا الجرم
كفيل أن يحول عنه قلوب قومه جميعاً ، ويطفىء جذوة حماستهم ،
بحيث لو ظهر فى الأفق شيء ، مهما كان صغيراً ،
فيه تعريض بحكمه ،
لأبدوا سرورهم به ،
حتى النيازك فى السماء ، وتقلبات الطبيعة .

والأيام العابسة ، والرياح الجارية والأحداث المألوفة ،
سيحولها الناس عن مدلولها المألوف ،
ويزعمون أنها شهب ساقطة ،
ونذر وعلامات ، وويلات توحى بها الطبيعة ،
وإرهاصات . وألسنة من السماء
تهدد چون بالويل والعذاب ،

لويس : لعله لا يريد أن يمس الفتى آرثر بسوء ،
ويجد السلامة التى ينشدها بإبقائه سجيناً .

باندولف : إذا سمع باقترابك أيها السيد ،
والفتى آرثر لم يقض عليه بعد ،
فإنه سيلقى حتفه بمجرد وصول النبأ ،
وهنالك تنفر منه قلوب شعبه جميعاً .
وسينهضون للترحيب بالعهد الجديد الذى يشتاقونه ،
ويجدون فى الجرائم التى ارتكبها چون
ما يبرر سخطهم وثورتهم عليه .
لكأنى أرى هذا الصخب قائماً على قدم وساق ،
فهل هناك توفيق أجل وأعظم مما ذكرته لك . . .
إن الدعى فولكنبردج الآن فى إنجلترة ،
يغير على مال الكنيسة ،

ويعطل أعمال الإحسان .
فلو أن هناك بضعة عشر فرنسيًّا بكامل سلاحهم ،
لاستطاعوا أن يستميلوا عشرة آلاف من الإنجليز
إلى صفهم .
كأنهم كرة من الثلج تتدحرج ،
فلا تلبث أن تصير جبلا بما يلتف حولها من الثلوج .
فهلم أيها الأمير الشريف يا ولي العهد ، نذهب معاً
إلى الملك .
إن الناس لجديرون أن يأتوا من الأعمال ما يبعث
الدهشة ،
إذا ثارت حفائظهم ، وامتلأت نفوسهم سخطاً
واشمئزازاً ،
فلنذهب إلى إنجلترة ، وسأسعى لأشحذ همة الملك .

اويس : إن الأسباب القوية ، تدفع إلى أعمال قوية ، فلنذهب
إذن .
وسيستجيب الملك إلى قولك ، ولا يخالف رأيك .

(يخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الأول

غرفة فى بعض القلاع ، والفحم يحترق فى الموقد

(يدخل هوبرت و بعض الجلادين)

هوبرت : احموا لى هذه القضبان من الحديد حتى تشتد حرارتها .
واكمنوا وراء الستار ،
حتى إذا ضربت بقدمى على البلاط ،
فأسرعوا واربطوا الغلام الذى تجدونه معى ،
إلى هذا الكرسى ربطاً محكماً ، انتبهوا اخرجوا وترقبوا .

الجلاد الأول : أرجو أن يكون الأمر الذى بيدك مما يجيز لك هذا العمل .

هوبرت : مخاوفك لا معنى لها ، فلا تخش شيئاً ، وانتبهوا .

(يتراجع الجلادون)

تقدم أيها الفتى ، فإن لدى ما أقوله لك .

(يدخل آرثر)

آرثر : عم صباحاً يا هوبرت .

هوبرت : عم صباحاً ، أيها الأمير الصغير .

آرثر : إننى حقًّا صغير بين الأمراء ، إذا ما قارنت بين المجد

العظيم الذى أستحقه ،
وبين ما أنا عليه الآن — إنك تبدو حزيناً .

هوبرت : أجل ، لقد كنت من قبل أكثر سروراً .

آرثر : رحماك اللهم !
إنى لا أجد أحداً جديراً بالحزن غيرى .
ومع ذلك فإنى أذكر عندما كنا فى فرنسا
كيف كان شباب الأسر الكريمة يظهرون حزناً كالليل البهيم ،
لمجرد التكلف والعبث .
أما أنا فوحق نصرانيتى ، لو أنى غادرت السجن ،
واشتغلت برعى الضأن ،
لكنت أكثر الناس سعادة وسروراً .
بل إنى قد أحس السعادة هنا لولا خوفى
أن عمى يدبر لى أذى أشد وأعظم ،
إنه يخشانى وأخشاه .
فهل اقترفت ذنباً بأن كنت ابناً لجفرى ؟
كلا لعمرى ليس هذا ذنبى . وددت — علم الله —
لو أنى كنت ابنك أنت يا هوبرت ، حتى يكون لى
نصيب من عطفك وحبك .

هوبرت : (لنفسه) لو أنى أمعنت فى الحديث معه ، وأصغيت
للفظه الطاهر البرىء
لبعث الرحمة فى قلبى بعد موتها .
إذن لابد لى أن ألجأ إلى الإسراع والمفاجأة .
آرثر : أمريض أنت يا هوبرت ، إن وجهك اليوم يعلوه
الشحوب .
ولعمرى إنى أود أن تكون بك علة خفيفة ،
حتى أسهر الليل كله لرعايتك .
إنى لعلى ثقة أن حبى لك أعظم من حبك لى .
هوبرت : (لنفسه) إن كلماته تملك على وجدانى ومشاعرى .
اقرأ هذا يا آرثر (يريه ورقة)
(لنفسه) ويحك أيها الدمع الأحمق ،
إنك توشك أن تطرد عذاب الجحيم إلى وراء الباب .
لابد لى أن أسرع حتى لا تتساقط العزيمة من عينى
فى صورة عبرات كدموع النساء .
ألا تستطيع أن تقرأها ؟ أليس خطها حسناً ؟
آرثر : إن خطها يا هوبرت لأجمل من فحواها الدميم .
أحق أن من واجبك أن تسمل عينى بحديد محمى فى
النار ؟

هوبرت : أجل إنه من واجبي أيها الغلام .
آرثر : وهل تفعل ذلك ؟
هوبرت : أجل سأفعله .
آرثر : وهل يطاوعك قلبك ؟ وأنا الذى كنت إذا اعتراك صداع يسير ،
بادرت فربطت جبينك بأفضل منديل لدى .
منديل حاكته يد أميرة .
ولم أطالبك به بعد ذلك .
وكنت أسند رأسك بيدى فى منتصف الليل .
وتمر الدقائق كأنها ترقب الساعات
وأنا لا أكف عن تسليتك وملاطفتك .
ولا أزال أسألك : « هل بك حاجة إلى شىء ؟ »
و « ما الذى يؤلمك ؟ »
و « أى عمل طيب أستطيع عمله من أجلك ؟ »
وإن من أبناء الفقراء من لو كان محلى للزم السكون
ولما قال لك كلمة عطف .
أما أنت فقد كان يسهر لتمريضك أمير ،
أتراك حسبت أن حبى لك كان منطوياً على الخديعة .
أو ظننته ضرباً من المكر ؟ فليكن هذا ظنك إن شئت .

وإذا كانت المقادير قد شاءت لك أن تسىء إلى اليوم
فلا بد مما ليس منه بد .
أتريد إذن أن تطفىء سراج عينى ؟
هاتين العينين ، اللتين لم تنظرا إليك يوماً بعبوس
أو تقطيب ،
ولن تفعلا ذلك أبداً .

هوبرت : لقد أقسمت لأفعلن ذلك ،
ولا بد لى أن أحرقهما بالحديد المضطرم .

آرثر : ويلى . إن هذا الأمر لا يحدث إلا فى مثل هذا العصر
الحديدى[1] .
إن الحديد نفسه لو دنا من هاتين العينين
وهو ملتهب من شدة الحرارة . لشرب من دمعى
وانطفأت جذوة ناره
بتأثير هذه العبرات البريئة الطاهرة .
بل إنه ليصهر أو يأكله الصدأ ،
بعد أن كانت نيرانه المحرقة تبغى الإضرار بعينى .
فهل أنت أشد قسوة من الحديد .

(١) إشارة إلى أن الأزمنة العابرة هى العصور الذهبية ، وقد انحطت مراتب الأزمنة فأصبحنا فى العصر الحديدى .

ولو أنى جاءنى ملك من السماء
وأبلغنى أن هوبرت يريد أن يحرق عينى ما صدقته ،
كلا لن أصدق
إلا هوبرت نفسه .

هوبرت : تقدموا (يضرب الأرض برجليه)
(يتقدم الجلادون ومعهم حبال وسلاسل ونحو ذلك)
افعلوا ما آمركم به .

آرثر : رحماك يا هوبرت . أنقذنى !
لقد فقئت عيناى لمجرد النظر إلى وجوه هؤلاء القوم الوحشية .

هوبرت : ناولونى الحديد ، وأوثقوا ربطه هنا .

آرثر : ولكن ما الذى يدعوك إلى كل هذه الخشونة والغلظة ؟
إنى لن أقاوم ، وسأقف جامداً كالحجر .
فبالله عليك يا هوبرت ، لا تأمرهم أن يشدوا وثاقى ،
وأستحلفك يا هوبرت أن تطرد هؤلاء الرجال ،
وسأجلس هادئاً كالحمل ،
لن أتحرك أو أهرب أو أنبس بكلمة .
ولن أنظر بغضب إلى الحديد الملتهب .
اطرد هؤلاء الرجال من هنا .

أصفح عن كل ما تلحقه بي من عذاب .

هوبرت : عودوا أدراجكم ، ودعوني وحدى معه .

الجلاد الأول : أحبب إلى نفسى بأن أكون بعيداً عن مثل هذا العمل !

(يخرج الجلادون)

آرثر : وا أسفاه ، لقد أهنت صديقاً .
إن له وجهاً عبوساً ، وقلباً رقيقاً .
ادعه ليرجع لعل رحمته
تبعث الحياة فى رحمتك .

هوبرت : هلم أيها الفتى وتأهب .

آرثر : أليس ثمة مفر ؟

هوبرت : كلا لا مفر إلا فقد عينيك .

آرثر : رباه ، لو أن ذرة سقطت فى عينيك
أو حبة أو بعوضة أو غباراً أو شعرة تائهة ،
أو أى شيء يضايق هذه الحاسة الثمينة ،
إذن لشعرت كيف تألم العين من أتفه الأشياء
وأدركت بشاعة هذا العمل الفظيع .

هوبرت : أين ما وعدتنى به التزام الصمت ؟

آرثر : أى هوبرت إن ما ينطق به لسانان من الألفاظ
قد لا يكفى للشفاعة بعينين ،

لهذا أرجوك ألا تسكت لسانى عن الكلام . أرجوك
يا هوبرت !
أو — إذا شئت يا هوبرت — فاقطع لسانى
حتى أحتفظ بعينى . أبق على عينى
ولو لم تكن لهما فائدة سوى النظر إليك !
انظر ، لعمرى إن الحديد قد برد
فلن يلحقنى الآن منه ضر .

هوبرت : بوسعى أن أحميه يا غلام

آرثر : كلا وأيم الحق ، إن النار التى خلقت للدفء وللإنعاش
قد خمدت غماً
حينما أريد لها أن تؤدى عملا قاسياً مفظعاً .
حسبك أن تنظر بنفسك إلى هذا الفحم
لترى أنه ليس به حقد أو أذى ،
وقد هبت عليه نسمة من السماء فأطفأت لهيبه وكست
جمره بغطاء من الرماد .

هوبرت : ولكنى أستطيع أن أنفخ فيه فيشتعل .

آرثر : لو أنك فعلت هذا ، لما زدت على أن تجعله
يحمر ويلتهب خجلا مما تريد أن تقوم به يا هوبرت .
بل لقد يتطاير شراره فى عينيك ،

ويكون مثله كمثل الكلب الذى يكره على القتال ،
فينقض على صاحبه الذى يدفعه على الرغم منه .
إن كل شيء تريد أن تؤذيني به
لا يلبث أن يفقد صلاحيته لما تريد .
إنك أنت وحدك الذى خلوت من تلك الرحمة التى
يظهرها الحديد الصلب والنار المشتعلة ،
مع أنهما مما يستخدم فى شئون بعيدة عن الرحمة
والشفقة .

هوبرت : فلتحى إذن ، محتفظاً ببصرك .
فإنى لن أمس عينيك ولو بذل لى كل ما فى خزائن
عمك من الكنوز ،
مع أنى أقسمت ، وتوطد منى العزم أيها الغلام
على أن أحرقهما بهذا الحديد .

آرثر : أنت الآن هوبرت حقّاً ،
ومن قبل كنت متنكراً .

هوبرت : صه ولا تزد ! أستودعك الله .
يجب ألا يعرف عمك شيئاً سوى أنك فى عداد الموتى .
وسأملأ آذان أولئك الجواسيس القساة
بأنباء كاذبة .

والآن أيها الصبي الجميل ، نم فى هدوء وطمأنينة ،
فإن هوبرت لن ينالك بسوء
ولو أعطى ما فى العالم كله من ثروة ومال .

آرثر : رباه . شكراً لك يا هوبرت .

هوبرت : الزم الصمت ، ولا تزد . ولندخل معاً فى سكون ،
إنى لأتعرض من أجلك لأشد الأخطار .

(يخرجان)

الفصل الرابع
المنظر الثانى
بلاط إنجلترة

(يدخل الملك چون واللوردان پمبروك وسالسبورى وغيرهما)

الملك چون : هنا نجلس مرة أخرى ، بعد أن توجنا مرة أخرى ،
والذى أرجوه أن ينظر إلينا نظرة الابتهاج .

پمبروك : لولا رغبة سموكم ، لكانت هذه المرة الأخرى من النوافل ،
فقد سبق لكم أن توجتم ملكاً ،
وهذه الملكية السامية لم تشبها بعد ذلك شائبة ،
فإخلاص الرعية لم يدنسه العصيان ،
ولم تضطرب البلاد بسبب خطب جديد تتوقعه ،
أو تبدل تنشده ، أو تحسين تصبو إليه .

سالسبورى : لهذا كان الاحتفال بالمعاد ،
والغلو فى تجميل لقب لا تنقصه الروعة ،
كمن يطلى الذهب المصفى بالذهب أو بلون زهرة الزنبق ،
أو ينثر الطيب على البنفسج ،
أو يجعل الثلج أكثر نعومة ،

أو يضاف لون آخر إلى قوس قزح .
أو كمن يريد ، بضوء شمعة ، أن يزيد الشمس نوراً
وبهجة .
وهذا كله إسراف وسفه لا مبرر له . وسخف يثير
السخرية .

مبروك : إن هذا العمل بمثابة قصة قديمة يعاد سردها ،
لولا ما فى ذلك العمل من تحقيق لرغبتكم الملكية ،
وإن تكرارها هذه المرة الأخيرة ليبعث على القلق ،
إذا حدثت فى وقت غير ملائم .

سالسبورى : وفى هذه الحفلة الأخيرة خولفت المراسم القديمة المرعية ،
وشوهت صورها المعهودة تشويهاً كبيراً .
فتبلبلت الأفكار بسبب ذلك ، كأنها شراع سفينة
هبت عليه ريح باتجاه جديد ،
فأذهلت العقول وحيرت الألباب ،
وأفسدت التفكير السليم وأثارت الشبهة حول الحقائق ،
ناهيك بارتدائك حلة مستحدثة .

مبروك : إذا حاول الصناع أن يعملوا أحسن مما كانوا يجيدونه ،
انتهى أمرهم إلى الاضطراب ،
وانحطت مهارتهم بسبب أطماعهم ،

ولقد يدلى بعذر عن خطأ يرتكب ،
ولكن كثيراً ما صار الخطأ أقبح بسبب ذلك العذر ،
كما يرقع الخرق الصغير فى الثوب ،
فيبدو منظره أشد دمامة
مما كان قبل أن يرقع .

سالسبورى : لقد أدلينا برأينا على هذه الصورة قبل هذا التتويج الجديد .
فبدا لسموكم أن تعملوا بخلاف ذلك الرأى .
ونحن على كل حال سعداء بما تم ،
لأن رغباتنا كلها ، مجتمعة ومقترنة ،
لابد لها فى النهاية أن تتفق ورغباتكم .

الملك جون : سبق لى أن أحطتكم علماً ببعض الأسباب التى دعت لهذا التويج المزدوج ،
وأراها أسباباً قوية ،
وسأبلغكم أسباباً أخرى تبلغ من القوة أكثر مما تبلغه مخاوفى من الضعف ،
وإلى أن يأتى ذلك الوقت ، اسألونى
أى إصلاح تنشدونه لما لا يروقكم ،
وسترون كيف أرحب بالاستماع لمطالبكم

والاستجابة لها .

بمبروك : ائذن لى إذن بوصفى اللسان الذى ينطق باسم هؤلاء .
أن أتكلم بما فى نفوسهم جميعاً .
فمن أجلهم ومن أجل نفسى .
وفوق ذلك كله من أجل سلامتكم .
التى نكرس لها كل جهودنا .
أن أطالبكم من كل قلبى بإطلاق سراح آرثر .
فإن حبسه قد جعل الألسنة الضجرة تتحرك
وتدلى بالعبارات والحجج الخطيرة الآتية :
إذا كان ما استوليت عليه اليوم قد ملكته بقوة الحق ؛
فلم جعلت مخاوفك ، التى هى فى زعمهم وليدة الباطل .
تدفعك إلى حبس شاب من ذوى قرباك ؛
فتحرمه نعمة التعليم ،
وتأبى على شبابه الغض أن يترعرع
ويتمتع بالرياضة الصالحة ؟
ولكيلا يجد أعداء هذا العهد فى هذا الأمر حجة يثيرونها متى شاءوا ،
نلتمس منكم أن تجعلوا طلبنا إطلاق سراحه

هو الأمنية التي سألتمونا أن نتقدم إليكم بها اليوم .
وليس لنا مطلب آخر نلتمس به خيراً لأنفسنا ،
اللهم إلا أن سعادتنا مرهونة بسعادتكم ،
التي يحققها إطلاقكم سراح هذا الفتى .

(يدخل هوبرت)

الملك چون : ليكن ما تريدون ، وسأضع شبابه الغض تحت تصرفكم .
أي هوبرت ماذا لديك من الأنباء ؟

(بنتحى به ناحية)

پمبروك : هذا هو الرجل المكلف بارتكاب الأمر المفظع .
وقد أطلع واحداً من أصدقائي على الأمر الصادر إليه .
إن في عينه صورة حية لجرم كبير قد اجترحه ،
والوجوم الذي يعلوه
يدل على حالة اضطراب تملأ جوانحه ،
وأكبر ظني وأخوف ما أخافه أن قد حدث ذلك الحادث الرهيب
الذي كنا نخشى وقوعه .

سالسبوري : أرى الملك يتعاقب على وجهه الشحوب والاحمرار ،
تتدافعه رغبته وضميره .
كما تسعى الرسل بين جيشين تأهبا للقتال ،

إن انفعاله بلغ الغاية ولابد له أن ينفجر .
پمبروك : ومتى انفجر فإنى أخشى أن ينكشف الانفجار
عن عمل دنئ يفضى إلى موت طفل عزيز .
الملك چون : ليس فى وسعنا — أيها السادة الكرام — أن نقف يد
المنون القاهرة .
وإنى وإن كنت لا أزال مستمسكاً بما أجبتكم إليه .
فإن الطلب الذى التمستموه منا لم يعد تحقيقه ممكناً ،
فقد أبلغنا الآن أن آرثر قضى نحبه الليلة .
سالسبورى : لقد كنا فى واقع الأمر نخشى أن مرضه لم يعد يفيد
فيه العلاج .
پمبروك : أجل لقد سمعنا نحن أن موته قد اقترب ،
من قبل أن يحس الطفل نفسه بالمرض .
وذلك إثم لابد أن يكفر عنه فى هذا البلد أو فى غيره .
الملك چون : ما بالكم تقطبون الجبين وتنظرون إلى عابسين ؟
هل تظنون أن فى يدى سيف القضاء والقدر ؟
أو أن لى الأمر والنهى فى شئون الحياة والموت ؟
سالسبورى : ومن الواضح أن فى الأمر إثماً فظيعاً ،
ومن العار ألا تتورع المناصب السامية عن ارتكاب
مثله ،

فلتصب من النجاح ما هو خليق بتدبيرك هذا ،
الوداع ! (١)

پمبروك : تمهل يا لورد سالسبورى ، حتى أسير معك ،
لكى نبحث عن الإرث ، الذى آل إلى هذا الطفل ،
وقد صارت مملكته الصغيرة قبراً نزله نتيجة لهذا العمل
الوحشى ،
إن صاحب هذا الدم الذى كان يمتلك هذه الجزيرة
العريضة كلها ،
يحتويه الآن منها ثلاث أقدام ، لبئس العالم عالمنا هذا .
ليس هذا الأمر مما يمكن احتماله ، بل لابد أن يفضى
إلى انفجار
، ينبعث من آلامنا وآحزاننا ، وليس هذا فيما أعتقد
ببعيد .

(يخرج اللوردان)

الملك جون : إن الغضب قد تأجج فى نفسيهما .

(يدخل رسول)

وإنى لأشعر بالندم ،

---

(١) أو فليكن حظك مثل هذا الحظ .

هيهات أن يقوم بناء على أساس من الدماء .
وأن تنال حياة آمنة بموت الآخرين .
(للرسول) إن الرعب باد فى عينيك، أين ذهب الدم
الذى رأيته فى وجنتيك من قبل ؟
إن هذا الجو المكفهر لن يصفو إلا بعد عاصفة ،
هلم فأمطرنا بما لديك ، كيف تجرى الأمور فى فرنسا ؟

الرسول . كل من فى فرنسا يسارع إلى إنجلترة ،
ولم يسبق لدولة أن حشدت
للغزو مثل هذه الجيوش .
وقد تعلموا منك كيف ينجزون أمورهم بسرعة ،
حتى إذا ما أبلغت أنهم يستعدون ،
تصلكم الأنباء بأنهم قد وصلوا جميعاً .

الملك جون : ولكن ما خطب عيوننا ، أتراها غافلة من شدة السكر ،
أم غلبها النعاس ؟ وأين يقظة أمى ،
حين يجند جيش ضخم كهذا فى فرنسا
دون أن نسمع به ؟

الرسول مولاى ، إن فى آذنها
رغاماً يسدها فلا تسمع ،

فى اليوم الأول من أبريل توفيت أمك الرفيعة الحسب ،
وقد سمعت أيضاً أن السيدة كنستانس ماتت قبل ذلك
بثلاثة أيام
فى نوبة من نوبات الغضب التى كانت تعتريها (١)
ولكن هذا النبأ سمعت به عرضاً فهو من الشائعات ،
ولا أعرف مقدار صحته .

الملك چون : أيتها الساعة الرهيبة تمهلى ولا تتعجلى !
كونى معى ، حتى أتمكن من استرضاء نبلائى
الساخطين .
أحقًّا ماتت أمى؟ فأى اضطراب قد اجتاح ممتلكاتى
فى فرنسا !
ومن عساه أن يكون القائد
لتلك القوات الفرنسية
التى تزعم أنها نزلت ديارنا ؟

الرسول : ولى عهد فرنسا .

الملك چون : لقد صدعت رأسى بهذه الأنباء السيئة .

(يدخل الدعى ، ومعه بطرس البمفرتى)

---

(١) الصحيح أن السيدة كنستانس توفيت قبل ذلك بثلاث سنين لا ثلاثة أيام .

ماذا يقول العالم عن مهمتك التى تقوم بها ؟
لا تحاول أن تحشو رأسى بمزيد من الأنباء السيئة
فإنه ممتلئ بها .
الدعى : ولكن إذا أبيت أن تسمع أسوأ الأنباء ،
فسيحل بك أسوأها دون أن تسمعه .
الملك چون : اصبر على يا ابن العم ، فإنى كنت فى أشد الحيرة ،
وسط هذا السيل الجارف .
ولكنى الآن أخذت أتنفس مرة أخرى من فوق التيار
وبوسعى أن أصغى لأى قول . فتكلم بما تشاء .
الدعى : إن مقدار المال الذى جمعته من القساوسة
هو خير دليل على مبلغ نجاحى معهم .
ولكنى – أثناء اضطلاعى بهذه الجهود ، ورحلاتى فى أرجاء البلاد ،
ألفيت الناس قد تملكتهم أوهام عجيبة ،
وعبثت بهم شائعات ولدها الخيال الجامح ،
امتلأت قلوبهم خوفاً ، ولا يدرون ماذا يخيفهم .
وهاكم أحد المتنبئين ،
أحضرته معى من شوارع بمفريت ،
وجدته ووراءه المئات من الناس ،

وهو ينشدهم بصوت أجش أبياتاً من الشعر ،
فحواها أن سموكم ستنزلون عن تاجكم
قبل ساعة الظهر فى يوم الصعود[١] .

الملك جون : ويلك أيها الحالم البليد ، لم فعلت هذا ؟

بطرس : لعلمى سلفاً أن هذا ، سيحدث حقـاً .

الملك جون : هوبرت ! اذهب به إلى السجن ،
ومر بأن يشنق فى ظهر ذلك اليوم
الذى زعم أنى سأنزل فيه عن تاجى .
خذه وأودعه السجن محفظاً عليه
ثم عد إلينا ، لأنى بحاجة إليك .
(يخرج هوبرت ومعه بطرس)

يا ابن العم العزيز :
أسمعت بالأنباء المتداولة عن الذين وصلوا ؟

الدعى : هم الفرنسيون يا مولاى ، إن نبأ وصولهم يملأ الأفواه ،
وفوق ذلك فقد قابلت لورد بجوت ولورد سالسبورى
وقد احمرت عيونهما كأنها نيران تضطرم ،
كما قابلت غيرهما ، وكلهم يبحثون عن قبر آرثر ،

(١) عيد يقع فى اليوم الأربعين بعد عيد الفصح ، يمثل ذكرى صعود السيد المسيح إلى السماء .

الذى يزعمون أنه قتل الليلة
بأمر منكم .

الملك چون : انطلق يا قريبى العزيز ،
واحشر نفسك فى زمرتهم ،
فإن لدى وسيلة أسعى بها لاستعادة محبتهم ،
فأحضرهم إلىّ .

الدعى : سأبحث عنهم حتى أجدهم .

الملك چون : افعل ، ولكن أسرع ، وأجد السير. ولتكن خير قدميك
هى السابقة ،
فإنى لا أريد أن يكون لى أعداء بين رعيتى ،
والخصم الأجنبى يشيع الخوف فى بلادى
بمظاهر الغزو القوى المرعبة .
فكن رسولا كعطارد ، واجعل لقدميك أجنحة ،
ثم عد إلى طائراً كالخاطر بعد أن تقابلهم .

الدعى : إن ظروف هذا اليوم العصيب تعلمنى الإسراع .
(يخرج)

الملك چون : لقد تكلم بروح السيد النبيل وهمته .
اذهب وراءه ، فلعله يكون بحاجة إلى رسول
يسعى بينى وبين النبلاء

فلتكن أنت ذلك الرسول .

الرسول : بكل قلبي يا مولاى .

(يخرج)

الملك جون : توفيت أمى إذن !

(يعود هوبرت)

هوبرت : سيدى . يزعمون أن خمسة أقمار ظهرت فى السماء الليلة ،
منها أربعة ثابتة ،
أما الخامس فكان يدور حول الأربعة فى حركات عجيبة .

الملك جون : خمسة أقمار ؟

هوبرت : والشيوخ والعجائز فى الشوارع
يبنون على هذا تكهنات بالغة الخطر ،
فحديث مقتل آرثر يتردد فى أفواههم ،
وحين يتكلمون عليه
يهزون رءوسهم ويتهامسون ،
والمتكلم يقبض على معصم المستمع ،
والمستمع يأتى بحركات تنم عن الشر ،
فيقطب حاجبيه ، ويهز رأسه ، ويحملق بعينيه .

رأيت حداداً يقف والمطرقة بيده هكذا ،
تاركاً الحديد يبرد على السندان ،
وهو فاغر فمه يلتهم أنباء يدلى بها خياط ،
يحمل فى يده مقصه ومقياسه ،
ولشدة عجلته
لبس كلاً من نعليه فى غير القدم التى يجب أن يلبسها فيها ،
وهو يحدثه عن آلاف مؤلفة من المحاربين الفرنسيين ،
وقد حشدوا جموعهم وتأهبوا للقتال فى مقاطعة كنت ،
وفى أثناء ذلك يقاطعه عامل نحيل القامة ،
زرى المنظر ، بكلام عن مقتل آرثر .

الملك جون : مالك تجتهد لتملأ صدرى بهذه المخاوف ؟
ولماذا تكثر من ذكر مقتل آرثر ؟
إن يدك هى التى اغتالته ، ولئن كان لدى من الأسباب
ما يجعلنى أرتجى موته ،
فإنه لم يكن لديك أنت سبب يدعوك لقتله .

هوبرت : لم يكن لدى ، يا مولاى ؟ ألست أنت الذى حرضتنى ؟

الملك جون : من نكد الدنيا على الملوك
أن يكون فى حاشيتهم عبيد ،

يحسبون نزوات الملوك تكليفاً لهم بأن يقدموا على سفك الدماء ،
يتوهمون أقل إشارة من السلطان أمراً واجب التنفيذ ،
ويسيئون تأويل غضب الملوك ،
وربما كان صادراً عن نزوة عابرة ،
لا عن تفكير وتدبير .

هوبرت : هاك خطك وخاتمك على الأمر الذى قمت بتنفيذه .

الملك چون : يوم يكون الحساب الأخير بين السماء والأرض ،
سيكون هذا الخط والخاتم
شاهدين على إثمى .
وكم من مرة كانت رؤية الوسائل التى تعين على فعل الشر
مغرية بارتكابه ،
فلو لم تكن أنت على مقربة منى ،
وأنت شخص هيأته الطبيعة لارتكاب العار ،
لما خطر لى هذا القتل ببال .
ولكنى لاحظت مظهرك الشرير ،
فرأيتك صالحاً لارتكاب القتل الغادر ،
جديراً بأن تستخدم فى مهمة خطيرة وقادراً عليها ،

فأفضيت عليك بتلميح طفيف عن موت آرثر .
فلم يردك ضميرك عن قتل أمير ،
ابتغاء مرضاة مليكك .

هوبرت : مولاى . . . .

الملك چون : فلو أنك هززت رأسك ، أو أظهرت بعض التردد
حين لمحت إليك بما أنتويه ،
أو نظرت إلى وجهى نظرة الشك ،
كأنك تريد منى أن أقص قصتى بعبارات واضحة ،
إذن لأخرسنى الخجل وعدلت .
ولأثارت مخاوفك المخاوف فى قلبى .
ولكنك فهمت مرادى من أقل إشاراتى ،
وبالإشارة أيضاً أبديت استعدادك للإثم .
أجل ولم تلبث أن جعلت قلبك يرضى ،
ويدك الخشنة تندفع لارتكاب المفظع ،
الذى أبى لسان كلينا أن يذكره لفظاعته .
اغرب عن ناظرى ، ولا ترنى مرة أخرى !
لقد انفض نبلائى من حولى ، والخصوم يتحدون سلطانى ،
حتى على أبواب مملكتى ، بجموع من القوات الأجنبية ،

بل إن جسمي هذا ،
وهو مملكة من لحم ودم ونفس ،
قد شاع فيه العداء ، ونشب فيه قتال داخلي
بين ضميري وبين مقتل ابن عمي .
هوبرت : ادخر سلاحك لقتال أعدائك الآخرين .
فإني سأعقد السلم ما بين روحك وبينك ،
إن آرثر الصغير حي يرزق ،
ويدي هذه لم تزل طاهرة بريئة ،
لم تختضب بقطرات الدم القانى ،
وصدري هذا لم تدخله بعد
نزعة إلى سفك الدماء .
إنك أهنت الطبيعة في شخصي ،
ومهما يكن في مظهري من الخشونة والجفاء ،
فما هو إلا غطاء لقلب
أطهر من أن يقدم على ذبح طفل بريء .
الملك چون : آرثر على قيد الحياة ؟ أسرع إلى النبلاء ،
وألق على غضبهم المستعر هذا النبأ ،
حتى تردهم إلى الهدوء والطاعة .
واصفح عما دفعني إليه الغيظ من نقد لشكلك .

لقد أعمانى الغضب ،
فتوهمت عينى الملتهبة
بأنك أكثر دمامة مما أنت عليه .
لا تجب بكلمة ،
بل بادر بإحضار النبلاء الناقمين إلى حجرتى بأسرع ما يمكن :
أراك بطىء الحركة . فأسرع ما استطعت !.

(يخرجان)

الفصل الرابع

المنظرّ الثالث

أمام القلعة

(يدخل آرثر بأعلى السور)

آرثر إن السور عظيم الارتفاع ، ولكنى سأثب إلى أسفل ،
أيتها الأرض الطيبة ، أشفقى على ولا تؤذينى !
يوشك ألا يكون هناك أحد يعرفنى وإن كان هناك من يعرفنى ،
فإن زى البحار هذا الذى تنكرت به ، كفيل بإخفاء أمرى .
إنى خائف ، ولكن لابد من المجازفة ،
فإن سقطت دون أن تتحطم أوصالى ،
وجدت ألف وسيلة للهرب ،
وسيان أن أموت حرًّا أو أموت سجيناً .
(يثب و يغمى عليه لحظة)
ويلى إن لهذه الأحجار قسوة قلب عمى .
فلتصعد إلى السماء روحى ، ولتحفظ إنجلترة عظامى !
(يموت)

(يدخل اللوردات پمبروك وسالسبورى و بيجوت)

سالسبورى سألقاه فى سنت إدمند سبرى :
فالأمر يتصل بسلامتنا وجدير بنا أن نتقبل
هذا العرض الكريم فى هذا الوقت الحرج .

پمبروك : من الذى أحضر ذلك الكتاب من الكردينال ؟

سالسبورى : الكونت ميلون أحد نبلاء فرنسا ،
والذى أسره إلىّ عن محبة ولى عهد فرنسا لنا
أعظم مما تضمنته هذه السطور .

بيجوت : إذن دعنا نلقاه صباح غد .

سالسبورى : أو بالأحرى نذهب للقائه ،
إذن لابد لنا من مسير يومين كاملين قبل أن نلقاه .

(يدخل الدعى)

الدعى : يسرنى أن ألقاكم اليوم مرة أخرى ، أيها السادة المحنقون .
كلفنى الملك أن أدعوكم لحضرته فوراً .

سالسبورى : لقد قطع الملك ما بيننا وبينه من صلة .
فلن نجعل من شرفنا النقى بعد اليوم بطانة لطيلسانه الرقيق الملوث ،
ولن نرافق أقداماً

تترك أثر الدماء أينما سارت .
عد إليه إذن ، وأبلغه أننا على علم بأسوأ الاحتمالات .

الدعى : أياً كان رأيكم ، فالأفضل أن تحسنوا القول .

سالسبورى : إن أحزاننا هى التى تملى علينا القول ، لا عقولنا أو أدبنا .

الدعى : ولكن أحزانكم ليس لها ما يبررها ،
لهذا يقضى العقل بأن تلتزموا آدابكم .

پمبروك : سيدى ، سيدى ، إن للضجر حقه[1] .

الدعى : أجل له الحق أن يؤذى صاحبه لا أى شخص آخر .

سالسبورى : هذا هو السجن الذى أودع فيه . (يرى آرثر) ما هذا الطريح على الثرى

پمبروك : افخر أيها الموت بإحرازك هذه التحفة الملكية وحسنها الرائع
ليس فى الأرض حفرة ، يوارى فيها هذا الصنيع البشع .

سالسبورى : كأن القتل فى بغضه لما ارتكب من الإثم ،
قد تركه معرضاً للأنظار ، حضًّا على الأخذ بثأره .

بيجوت : أو أنه حين أراد أن يوارى هذا الجمال فى قبر ،

---

(١) أى أن الشخص الذى ضجر وعيل صبره لا يحاسب على ما يقوله .

ألفاه أعز وأشرف من أن يلقى به فى قبر .

سالسبورى : ماذا ترى يا سر رتشارد ، بعد هذا الذى شهدته ؟
هل قرأت أو سمعت ؟ هل تستطيع أن تتصور ،
أو أن تحاول أن تتصور هذا الذى نراه ، على الرغم من أنك تراه ؟
وهل يستطيع الفكر أن يتصور مثل هذا المنظر ،
ما لم يره ويشهده ؟ إن هذا ليمثل القمة ،
أو الذروة ، بل ذروة الذروة فى عالم الإجرام .
هذا أفظع العار وأشنع مراتب الوحشية ،
وأحط ضربة ضربها الغضب الأحمق
الذى أعماه الهياج ،
فأهاج الدموع وحرك القلوب .

بمبروك : إن جميع الجرائم التى ارتكبت لتستحق المغفرة ، إذ قيست إلى هذا الجرم ،
إنه جرم فظ منقطع النظير ،
وهو جدير أن يضفى القداسة والبراءة
على جميع الآثام التى لم ترتكب بعد .
فكل دم يسفك بعد هذا
يعد لوناً من ألوان العبث ، إذا قورن بهذا الجرم البشع .

الدعى : إنه لعمل لعين مفظع ،
ارتكبته يد شريرة آثمة ،
إذا كان هذا من صنع أحد من الناس .

سالسبورى : إذا كان هذا من صنع أحد !
كنا نشعر بما سيحدث :
فهذا الجرم المخزى هو من صنع هوبرت
بتكليف وتدبير من الملك ،
الذى أصبحت طاعته حراماً على نفسى ،
وإنى لأركع الآن أمام هذه الرفات الطاهرة ،
وأنطق لديها — وهى التى حرمت النطق —
فأحلف يميناً خطيرة ، يميناً مقدسة :
ألا أذوق للذات الحياة طعماً ،
أو يعرف السرور سبيلا إلى قلبى .
أو أجنح إلى الراحة والدعة ،
حتى أكسو يدى هذه مجداً عظيماً
بأن أتيح لها شرف الانتقام .

پمبروك و بيجوت : نعاهدك بأرواحنا على التمسك بما قلته .

(يدخل هوبرت)

هوبرت : أيها السادة ، إنى أتصبب عرقاً لشدة إسراعى فى البحث عنكم :
إن آرثر حى يرزق ، وقد أرسلنى الملك فى طلبكم .

سالسبورى : يا له من جرىء لا يخجل من الموت ،
اخسأ أيها الدنىء واذهب من هنا .

هوبرت : ما أنا بالدنىء .

سالسبورى : أما لى بد من أن أغتصب سلطان القانون ؟

(يجرد سيفه)

الدعى : إن سيفك ناصع البياض ، فأعده إلى غمده .

سالسبورى : لن أعيده قبل أن أغمده فى جلد سفاح .

هوبرت : احذر يا لورد سالسبورى ، احذر قلت لك ،
فوحق السماء إن سيفى فى مثل مضاء سيفك
ولا أود لك يا لورد أن تنسى نفسك ،
فتتعرض للخطر حين أدافع عن نفسى .
إن ثورتك هذه
قد تنسينى مقامك ورتبتك ونبالتك .

بيجوت : اخسأ يا كومة القمامة ! أبلغت بك الجرأة أن تتحدى سيداً نبيلا ؟

هوبرت : كلا بحياتى ، ولكنى أجرؤ

على الدفاع عن حياتى البريئة ضد إمبراطور .

سالسبورى : إنك قاتل سفاح .

هوبرت : لا تدفعنى لإقامة الدليل على ذلك[١] ،
ولكن التهمة باطلة . ومن نطق لسانه بالباطل ،
لم يقل الصدق ، ومن لم يقل الصدق كان كاذباً .

بمبروك : قطعه إرباً .

الدعى : الزموا الهدوء .

سالسبورى : تنح يافولكنبردج ، وإلا آذيتك .

الدعى : أيسر لك أن تؤذى الشيطان يا سالسبورى ،
إنك لو نظرت إلى عابساً ، أو حركت قدمك
أو دفعك الغضب والتسرع لأن توجه لى إهانة ،
لقتلتك من فورى ، فبادر بإغماد سيفك
قبل أن أتركك وحديدتك هذه
بحيث تظن أن الشيطان أقبل من الجحيم .

بيجوت : ماذا عساك أن تفعل يافولكنبردج المجيد ؟
أتريد أن تحمى سفاحاً دنيئاً ؟

هوبرت : لست سفاحاً ، يا لورد بيجوت .

---

(١) أى لا تمعن فى إهانتى فتضطرنى لقتلك .

بيجوت : إذن من الذى قتل الأمير ؟
هوبرت : منذ ساعة تركته سليماً ،
لقد كنت أجله وأحبه ،
وسأبكيه عمرى كله حزناً على فقد حياته العزيزة .
سالسبورى : لا تخدعنكم هذه الدموع الماكرة الساقطة من عينيه ،
لأن النذالة لا تخلو من مثل هذه العبرات ،
وهو يستطيع بفضل طول ممارسته أن يجعلها
تبدو فى صورة أنهار متدفقة من الأسف والبراءة .
تعالوا معى يا من تشمئز نفوسهم
من رائحة المجازر الكريهة ،
فإنى أوشك أن أختنق برائحة هذا الإثم .
بيجوت : لنذهب إلى برى ، للقاء ولى عهد فرنسا .
بمبروك : قل للملك إن بوسعه أن يبحث عنا هناك .
(يخرج اللوردات)
الدعى : يا له من عالم عجيب ! هل كان لك علم بهذا المنكر ؟
لئن كنت أنت المرتكب لهذا القتل يا هوبرت
فإنك ملعون لعنة تفقدك كل أمل فى الرحمة الواسعة
التى لا حد لها .
هوبرت : أرجوك أن تستمع إلى يا سيدى

الدعى : بل ستحل بك لعنة
يسود لها وجهك سواداً ليس له نظير ،
وستكون ملعوناً لعنة أبعد غوراً من لعنة إبليس ،
وليس فى أرجاء الجحيم شيطان أشد قبحاً ودمامة ،
مما ستكون أنت عليه ، إذا كنت أنت قاتل هذا الطفل .

هوبرت : إنى أقسم لك . . .

الدعى : حتى لو كنت وافقت فقط
على هذا الجرم الشنيع ، فإنك لن يبقى لك فى الحياة إلا اليأس والقنوط ،
ولو التمست حبلا
فإن أوهى خيوط العنكبوت كاف لشنقك ،
ويكفى أن يعلق الخيط فى عود ضئيل من الحطب ،
ولو جعلت فى ملعقة قليلا من الماء
لكان كالبحر المحيط اتساعاً ،
حتى يغرق فيه مثل هذا المجرم الأثيم[١] .

---

(١) تتضمن هذه العبارة إشارة إلى فكرة سائدة بأن من ارتكب جرماً تعرض للنقمة بأوهى الأسباب ، فخيط العنكبوت يكفى لشنقه معلقاً على عود من الحطب ، وقليل من الماء يكفى لإغراقه ، ولو كان ملء ملعقة .

لعمرى إنى لشديد سوء الظن بك .

هوبرت : ألا فلتعذبنى الجحيم
بأفظع ما بها من الويلات والآلام ،
إن كنت ارتكبت بالفعل أو القول أو الفكر ،
جريمة إزهاق هذا الروح الطاهر ،
الذى كان مودعاً فى هذا الجسد الجميل ،
لقد تركته سليماً معافى .

الدعى اذهب فاحمله بين ذراعيك .
يخيل إلى أن الدهشة جعلتنى أضل السبيل
ما بين أشواك الحياة وأخطارها .
سهل عليك أن تحمل كل إنجلترة بين ذراعيك
حين تحمل هذه القطعة من الجسد الملكى الميت .
إن ما فى هذه المملكة من حياة وهدوء واستقرار
قد طار إلى السماء . وصار أمر إنجلترة
إلى الدفع والجذب والعنف ، وإلى التكالب على المصالح
والمنافع الضخمة فى الدولة التى ليس لها الآن صاحب ،
الآن تنشب الحرب أظفارها ،
وتكشر عن أنيابها لالتهام عظام الملك العارية ،

وهى تحملق بغضب فى عيون السلم الوديعة .
الآن تحتشد القوى المغيرة من الخارج والقوى الثائرة من الداخل ،
وتقف صفًّا واحداً . والفوضى تحلق وتحوم ،
كما يفعل الغراب فوق جسد وحش صريع ،
انتظاراً للحظة التى يشيع فيها الاضطراب بسبب التنازع على الملك .
سعيد من استطاع وسط هذه العاصفة الهوجاء ، أن يحتفظ بثيابه على جسده .
احمل هذا الطفل إلى مكان أمين ، واتبعنى بسرعة .
إنى ذاهب إلى الملك ،
فإن هناك ألف مسألة تتطلب النظر السريع .
وإن السماء نفسها لساخطة على هذه البلاد .

الفصل الخامس

المنظر الأول

بلاط إنجلترة

(يدخل الملك چون و پاندولف والحاشية)

الملك چون : هأنذا أضع فى يدكم
تاج مجدى .
(يسلم التاج)

پاندولف : تسلمه مرة ثانية من يدى :
إيذاناً بأنك تتلقى عظمتك الملكية
وسلطانك من البابا .
(يرد إليه التاج)

الملك چون : والآن حافظ على الوعد المقدس الذى قطعته : اذهب
إلى الفرنسيين ،
واستخدم كل ما حباك به قداسته من سلطان
لوقف غزوهم .
فقد اشتد الهياج ، وأخذت المقاطعات المتذمرة تثور ،
والناس يشقون عصا الطاعة ،

ويقسمون يمين الولاء والإخلاص
لعناصر غريبة وملك أجنبي .
فهذا الفيض الدافق من الأمزجة المضطربة
لن تعود سيرتها الأولى إلا بمجهودك .
فلا تبطئ ، فإن عصرنا هذا قد بلغت به العلة درجة ،
لابد معها من المبادرة بمعالجتها الآن ،
قبل أن تظهر أعراض لا يرجى لها شفاء .

پاندولف : إن نفسى هو الذى أثار هذه العاصفة ،
بسبب إمعانك فى الإساءة إلى البابا ؛
فأما وقد أصبحت مؤمناً ، رقيق الحاشية ،
فإن لسانى كفيل بأن يسكن عواصف الحرب ،
وينشر جواً هادئاً فى هذه البلاد المضطربة .
فلنذكر إذن ، فى يوم الصعود هذا ،
أننى ، من أجل يمين الولاء التى أقسمتها للبابا ،
سأذهب الآن لأحمل الفرنسيين على أن يلقوا سلاحهم .

(يخرج)

الملك جون : هل اليوم هو عيد الصعود ؟

ألم يتنبأ ذلك المتنبئ أنى سأنزل عن تاجى قبل ظهر يوم الصعود ؟
وقد فعلت ما تنبأ به ،
لكنى توهمت أنى سأفعله مكرهاً .
فالحمد لله على أنى فعلته مختاراً .

(يدخل الدعى)

الدعى : إن مقاطعة كنت سلّمت كلها ،
ولم يبق من يقاوم سوى قلعة دوڤر ،
وقد استقبلت لندن ولى العهد وجيشه استقبال الضيوف الكرام .
ونبلاؤك أبو أن يستجيبوا لدعوتك ، وآثروا أن يمضوا
ليعرضوا خدماتهم على العدو ،
أما العصبة الصغيرة من أصدقائك ، غير الموثوق بهم كثيراً ،
فقد ملكتهم الحيرة والارتباك .

الملك چون : أيأبى لوردانى أن يعودوا
بعد أن سمعوا أن آرثر الصغير على قيد الحياة .

الدعى : لقد وجدوه صريعاً ، ملقى فى الطريق ،
كأنه وعاء فارغ ،

انتزعت منه جوهرة الحياة يد لعينة .

الملك چون : لقد أبلغنى ذلك الدنئ هوبرت أنه ما برح على قيد الحياة .

الدعى : إنه تكلم بما كان يعلم .
ولكن ما بالك مطرقاً واجماً ؟ وماذا تبدو حزيناً كئيباً ؟
كن عظيماً فى العمل كما كنت عظيماً فى التفكير ،
ولا تدع العالم يرى
أن العين الملكية يحركها الخوف والكآبة وسوء الظن .
كن نشيطاً كالزمن ، والق النار بالنار .
وهدد من يهددك ، وتحد من يتشدق بالويل ويتوعد ،
حتى تستطيع النفوس الضعيفة ،
التى تتطلع إلى العظماء وتحاكيهم ،
أن تتخذك مثالا وقدوة . فتستمد منك القوة والعظمة ،
وترتدى ثوب العزيمة والجرأة .
انطلق إذن ، والمع كأنك إله الحرب
حين يريد أن يزدان به ميدان القتال !
اظهر الجرأة ، وهمة الواثق بنفسه .
عجباً هل ندعهم يدخلون على الليث فى عرينه

ويزعجونه فيه ، ويجعلونه يرتعد هناك ؟
إن لك مندوحة عن هذا ، اذهب أنت باحثاً عن الفريسة ،
وانطلق لتلقى السر بعيداً عن أبوابك .
وحاربه هناك قبل أن يدنو منك إلى هذا الحد .

الملك چون : كان معى مندوب البابا اليوم ،
فعقدت معه صلحاً موفقاً ،
وقد وعد بأن يرد الجيش
الذى يقوده ولى عهد فرنسا .

الدعى : يا له من اتفاق وضيع !
أيليق بنا ، وقد وطئت أقدام العدو أرضنا ،
أن نصطنع السماحة والاعتدال ،
ونلقى الجيوش الزاحفة بالتودد والمفاوضة والمهادنة الدنيئة
أو نسمح لفتى أمرد وطفل ناعم مدلل
أن يقتحم أرضنا ، لكى تتعلم روحه الفجة
مبادئ القتل وسفك الدماء فى محاربتنا ،
وينشر راياته فى جو بلادنا فى سخرية وكبرياء ،
فلا يلقى من يعترض سبيله ؟
هيا يا مولاى إلى السلاح .

فربما لم يستطع الكردينال عقد ذلك الصلح .
وإن استطاع فلا أقل من أن يقول الناس
إنهم شهدوا منا استعداداً للدفاع .

الملك چون : لتتول أنت القيام بها يلزم فى الوقت الحاضر .

الدعى : لنذهب إذن معتصمين بالشجاعة ،
على أنى واثق أن رهطنا يستطيع أن يلقى عدوًّا أجل خطراً .

(يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر الثانى

معسكر ولى عهد فرنسا

فى سنت إدمندسبرى

(يدخل لويس وسالسبورى وميلون وپمبروك وبيجوت بكامل أسلحتهم ، ومعهم جنود)

لويس : يا لورد ميلون ، كلف من يقوم بنسخ هذه الوثيقة ،
وحافظ عليها ، لنرجع إليها متى شئنا .
أما الأصل فأعده إلى هؤلاء اللوردات[١] .
وبهذا نكون قد سجلنا عهدنا كتابة ،
لكى يقرأوه كما نقرؤه ،
فيعلموا بما تعاقدنا وأقسمنا عليه ،
حتى نحافظ على عهدنا بقوة ، ولا نفكر فى نقضه .

سالسبورى : ولن ننقض نحن هذا الميثاق أبداً ،
ولئن كنا ، أيها الأمير الكريم ،

---

(١) الوثيقة المشار إليها هى التى تضمن للنبلاء حقوقهم . وقد سبق للملك جون أن اعترف بهذه الحقوق فى الوثيقة الشهيرة ماجنا كارتا ، وقد حرصوا على أن يحصلوا من لويس على ضمان مماثل لقاء تأييدهم له .

أقسمنا اليمين طوعاً لا كرهاً ،
وعاهدناك مختارين على تأييدك
فكن واثقاً أنى لست سعيداً
بأن أرى قروح هذا الزمن
تعالج بضمادات الثورة والعصيان اللعين ،
فنشفى علة جرح واحد ؛
باستحداث جروح كثيرة
وإنى ليحزننى أن أستل سيفى من جانبى
لكل أستكثر من الأرامل ،
وهناك من ينادينى « سالسبورى »
لكى أدافع وأحمى الذمار .
ولكن بلغ من فساد هذا الزمان
أننا لكى نحافظ على حقنا صحيحاً سليماً ،
لا بد لنا أن نساير العدوان ، وأن نستعين بالباطل[1] .
أليس مما يبعث الأسف . يا أصدقائى المحزونين ،
أننا ونحن أبناء هذه الجزيرة وذراريها ،
وقد ولدنا لكى نشهد ساعة غم وكدر كهذه الساعة ،
التى نسعى فيها وراء الأجنبى ،

(١) أى بمناصرة الأجانب المغيرين على الأوطان .

وندوس ثراها الجميل ،
ونملأ صفوف أعدائها ؟
اعذرونى إذا تساقط دمعى من عار هذا الموقف الذى أكرهنا عليه ،
حيث نضطر لتمجيد سادة أتوا من بلد غريب ،
وتخفق ها هنا على رؤوسنا أعلام لا عهد لنا بها ؟
أيحدث هذا كله ها هنا ؟ ويحك أيتها الامة ، ليتك تستطيعين الرحيل ،
وليت ذراعى نبتون التى تطوقك من كل جانب ،
تنتزعانك من مكانك فلا تعرفين نفسك ،
وتلقيان بك على شاطئ وثنى ،
حيث يستطيع هذان الجيشان المسيحيان
أن يوحدا قواتهما فى مجهود مشترك .
بدلا من تبديدها فى قتال يتنافى وحقوق الجوار[1] .

لويس : إنك لتكشف فى قولك هذا عن خلق كريم ،
وإن اعتراك العواطف فى الصدور النبيلة
ليهزها هزاً كأنه زلزال ،

---

(١) يرى بعض الشراح فى هذه الجملة إشارة إلى كتاب من البابا يحض على الحروب الصليبية بدلا من محاربة النصارى بعضهم بعضاً .

فيالها من معركة شريفة خضت غمارها
ما بين حكم الضرورة ، والتقاليد المأثورة .
دعني أمسح بيدى هذا الدمع المشرف ،
الذى يجرى كالفضة على خديك .
لقد ذاب قلبي من قبل لدموع امرأة .
مع أنها شيء مألوف .
أما أن تتساقط قطرات كهذه ملؤها الرجولة ،
فإن هذا الغيث الذى ينهمر من عاصفة تجيش بها النفس ،
ليبعث الحيرة فى عينى ويبعث فى من الدهشة
أكثر مما أحسه ، لو أنى أبصرت قمة السماء
تغطيها شهب تلمع وتتوقد .
أى سالسبورى رفيع القدر ! ارفع رأسك ،
وسكن هذه العاصفة الهوجاء ، بما فى قلبك العظيم من قوة وبأس ،
وخل هذه العبرات لعيون الطفولة ،
أولعيون الخلىّ التى لم تشهد ما يثور فى العالم الضخم من الهياج ،
ولم تعرف من تقلبات الحظ إلا ما قد تصادفه فى الحفلات ،

لرجل همه المرح والعبث وفضول الحديث .
تعال ، تعال . فإنك ستنال من كنوز الثراء العريض
ما يناله لويس نفسه ،
وكذلك أنتم أيها الأشراف ،
الذين شددتم أزرى ، وأضفتم قوتكم إلى قوتى .
(يدخل باندولف)
وأظن أنى الآن نطقت بحكمة الملائكة[1] .
انظروا إلى المندوب المقدس مسرعاً نحونا ،
لكى يمنحنا البركة من يد السماء
ويطلق على جميع أعمالنا اسم الحق ،
بنفسه الطاهر المقدس .
باندولف : سلاماً يا أمير فرنسا الشريف
أما بعد ، فإن الملك چون قد أصلح ما بينه وبين روما .
وروحه التى كانت من قبل ثائرة على الكنيسة المقدسة
قد خضعت خضوعاً تامّاً
لمركز السلطان الدينى العظيم فى روما .
لهذا أسألك أن تطوى هذه الأعلام الخانقة المتوعدة ،

---

(١) لعل الملائكة هنا إشارة إلى صورة الملائكة على بعض أنواع العملة ، وذلك بعد أن وعد لويس اللوردات بالمال .

وأن تروض روح الحرب الضروس الوحشية ،
حتى يكون مثلها كمثل الأسد ، الذى نشأته بيدك ،
وفى وسعك أن تجعله يرقد هادئاً تحت قدم السلام ،
فلا يكون فيه من الأذى أكثر مما لو كان فى ملعب :

لويس : عفواً يا صاحب النيافة ، ولكنى لن أتراجع .
إن شرف مولدى يأبى على
أن أكون مجرد آلة ،
وأن أحتل مكاناً ثانوياً فى الحكم ،
أو أن أكون خادماً نافعاً وأداة طيعة فى كف أى
سلطان فى العالم .
لقد كان نفسك أول شىء أشعل نار الحرب الخامدة ،
ما بين هذه المملكة التعسة وبينى ،
وأتى بالوقود الذى يزيدها اشتعالا واضطراماً ،
وهى الآن أضخم وأعظم من أن يطفئها
تلك الريح الضعيفة التى أشعلتها ،
إنك أنت الذى علمتنى كيف أعرف وجه الحق ،
وأرشدتنى إلى ما لى من المصلحة ، فى هذه الأرض ،
بل وألهبت قلبى تحمساً لهذه الحملة ،

فهل تجىء الآن لتخبرنى أن جون
أصلح ما بينه وبين روما ،
ما الذى يعنينى من هذا الصلح ؟
إنى بحكم المصاهرة أصبحت صاحب الحق فى هذه البلاد بعد الفتى آرثر .
والآن ونصفها فى يدى أينبغى لى أن أتقهقر ،
لأن جون قد عقد الصلح ما بينه وبين روما ؟
فهل أنا عبد لروما ، كم درهماً دفعت روما ،
وكم جندياً حشدت ، وذخيرة أرسلت ، لمؤازرة هذه الحملة ؟
ألست أنا الذى أحمل هذا العبء ؟
من غيرى أنا والذين ينصروننى فى مطالبى ،
يشقى بهذا المجهود ويصطلى بأوار هذه الحرب ؟
ألم أسمع أبناء هذه الجزيرة يهتفون لى
« ليحيا الملك » ، كلما استوليت على مدنهم ؟
أليست فى يدى أحسن أوراق اللعب ،
لكى أكسب هذه المقامرة السهلة ،
للظفر بتاج الملك ؟
فهل أسلم الآن هذه الأوراق الظافرة ؟

لا لعمرى ! لن يقال يوماً إنى ارتكبت مثل هذه الحماقة .

پاندولف : إنك لا تنظر إلا إلى ظاهر هذا الأمر .

لويس : سيان عندى ظاهر و باطنه ،
ولن أعود حتّى ينال مجهودى هذا
من المجد ما أملت ؛ وما وعدت به ،
قبل أن أحشد هذا الجيش الشهم المنتخب ،
وأتخير له هذه النفوس الملتهبة من مختلف الأقطار ،
وهى تتطلع للفتح
ولاكتساب المجد من بين أنياب الخطر والمنون .
(ينفخ فى البوق)
ما الذى يدعونا إليه هذا البوق القوى الصوت ؟
(يدخل الدعى بحراسه)

الدعى : اسمحوا لى أن أتحدث إليكم
طبقاً للنظم والأوضاع المقررة فى العالم .
وقد أرسلنى مليكى .
مولاى صاحب النيافة وكردينال ميلان ، جئت لأعلم ما فعلت له .
وسأعرف ، عند إجابتك لى ؛

مدى ما يستطيع لسانى أن ينطق به فى حدود ما خولنى
إياه مولاى .

باندولف : إن أمير فرنسا يرفض فى عناد وإصرار ،
ويأبى أى تراض فيما أتوسل به إليه .
ويعلن فى صراحة أنه لن يلقى سلاحه .

الدعى : أقسم بكل الدماء المتفجرة من سطوة الهيجاء ،
لقد تكلم الفتى فأحسن ، استمعوا الآن إلى مليكنا
الإنجليزى ،
وإليكم كلام جلالته ، يلقيه بلسانى :
إنه على تمام الاستعداد ، ويحق له أن يكون كذلك ،
أما هذا الحشد السخيف الوقح ، وأما هذه الخوذات
والمغافر الحديدية ، وهذه الحفلات الصاخبة .
وأما هذه القحة الصبيانية .
والجيش المؤلف من أحداث أغرار .
فينظر إليه الملك بابتسام .
وهو على أتم أهبة ليضرب بسوطه حرب القماءة وجيوش
الأقزام هذه
حتى يخرجها من أراضيه .
إن اليد التى استطاعت . — عند أبواب أوطانكم —

أن تنكل بكم وجعلتكم تلوذون بالهرب ،
وتغوصون كما تغوص الدلاء فى الآبار الخفية العميقة ،
وتقبعون فى مراقد الحيوان داخل الاصطبلات ،
وترقدون فى صناديق وحقائب ، كأنكم بضاعة مرهونة ،
وتبيتون مع الخنازير ،
وتلتمسون النجاة فى السراديب والسجون ،
وترتعدون فرقاً لمجرد سماعكم ديكاً يصيح من أدياك بلادكم ،
توهماً منكم بأنه صوت إنجليزى مسلح .
فهل تضعف ها هنا تلك اليد المظفرة ،
التى نكلت بكم أشد التنكيل وأنتم فى حجراتكم ؟
كلا ألا فاعلموا أن الملك الباسل قد لبس عدة الحرب ،
وهو يحوم كالنسر المحلق من مقره فى السماء ،
لكى ينقض ويفترس الذين تجرأوا على الدنو من عشه .
أما أنتم أيها المتمردون العصاة ، الناكرون للجميل .
أنتم أيها السفاحون ، الذين تمزقون رحم أمكم العزيزة إنجلترة ،
فلتواروا وجوهكم خزياً وعاراً ،
فإن نساءكم وبناتكم الشاحبات الوجوه

قد أقبلن خلف الطبول كالنساء المحاربات فى أساطير الأقدمين ،
وقد جعلن من كل كستبان درعاً ،
ومن الإبر حراباً ، ومن قلوبهن الرقيقة
عزيمة ماضية تنشد الحرب والقتال .

لويس : حسبك ما نطقت به من وعيد ، وارجع أدراجك بسلام ،
إنا نسلم بأنك أبرع منا فى السباب . وداعاً
فإن وقتنا أثمن من أن نصرفه
مع متشدق مثلك .

باندولف : اتذن لى فى الكلام .

الدعى : بل أنا أتكلم .

لويس : لن أستمع لك أو له .
هلم فدقوا الطبول ، ودعوا لسان الحرب
ينطق مدافعاً عن مصالحنا وعن وجودنا ها هنا .

الدعى : أجل إن طبولك متى ضربت صرخت ،
وستصرخ أنت أيضاً إذا ما ضربت .
فإذا انبعث الصدى من دقات طبلك ،

فإن بالقرب منك طبلا مشدوداً يرسل إلى الآفاق دويًّا
كدويك ،
وإذا أرسلت صدى آخر ، ارتفع نظيره
حتى يرن فى آذان السماء ، أعلى من هزيم الرعد .
فإن الملك چون المحارب على مقربة منكم
إذ لم يثق بكلام المندوب الدينى المتردد هذا .
وقد كان استخدامه إياه من قبيل العبث لا الحاجة .
إن الموت الزؤام جالس ، فى جبهة مليكنا[1] ،
عارى الأضالع ،
همه أن يفترس الآلاف من الفرنسيين .

لويس : دق الطبول ، لكى نكشف عن هذا الخطر .

الدعى : وستجده أيها الأمير الفرنسى دون أدنى شك .

(يخرج)

---

(١) اصطلاح إنجليزى قديم ، يصف القائد المقبل على العدو بأن الموت جالس فى جبهته .

الفصل الخامس

المنظر الثالث

ميدان القتال

(صوت البوق : يدخل الملك چون وهوبرت)

الملك چون : نبئني يا هوبرت : كيف تسير أمورنا اليوم ؟
هوبرت : أخشى أن أقول إن سير الأمور ردىء، وكيف جلالتكم ؟
الملك چون : إن هذه الحمى التى لازمتنى هذه المدة الطويلة ،
وقعها ثقيل على ؛ أجل وقلبي مريض أيضاً .

(يدخل رسول)

الرسول : مولاى : إن قريبكم الباسل فولكنبردج ،
يلتمس من جلالتكم أن تغادروا الميدان ،
وأن تنبئوه على لسانى عن وجهتكم .
الملك چون : بلغه أن وجهتنا سوينستد ، إلى الدير هناك .
الرسول : ولتطمئن نفسكم ، فإن الإمداد الكبير
الذى كان الأمير الفرنسى ينتظر وصوله هنا ،
قد تحطم على رمال جودون منذ ثلاث ليال ،
وقد وردت الأنباء إلى ريتشارد منذ قليل ،

أما الفرنسيون فيحاربون بفتور و يتراجعون .

الملك چون : ويلى من هذه الحمى الظالمة ، التى تحرق جسدى ،
ولا تدعنى أرحب بهذه الأنباء السارة .
سيروا بنا إلى سوينستد ، احملونى على المحفة فوراً ،
فإن الضعف قد استولى على ، وأوشك أن يغمى علىّ .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

مكان آخر من ميدان القتال

(يدخل سالسبورى و پمبروك و بيجوت)

سالسبورى : لم أكن أحسب أن للملك أنصاراً بهذه الكثرة .

پمبروك : هلم مرة أخرى ، ولنشد من عزائم الفرنسيين .
فإنهم إن أخفقوا أخفقنا نحن أيضاً .

سالسبورى : إن هذا الشيطان الدعى فولكنبردج
يحمل لواء النصر وحده ، على الرغم مما يعترضه من العقبات .

پمبروك : يقولون إن الملك چون غادر الميدان لشدة مرضه .

(يدخل ميلون ، جريحاً)

ميلون : اذهبوا بى إلى عصاة الإنجليز .

سالسبورى : فى وقت الرخاء كنا ندعى بأسماء أخرى .

پمبروك : إنه اللورد ميلون .

سالسبورى : جريح مشرف على الموت .

ميلون : لوذوا بالهرب أيها الإنجليز النبلاء ، فإنكم تباعون وتشترون ،

أقلعوا عن عصيانكم الذميم
وعودوا إلى ولائكم الذى نبذتموه
واذهبوا إلى الملك چون واركعوا عند قدميه .
فلو كتب النصر للفرنسيين فى هذا اليوم الصاخب ،
فإن لويس قد صح عزمه على أن يجازيكم على ما تجشمتم
بقطع رؤوسكم ، لقد أقسم على هذا —
وأقسمت أنا معه وكثير غيرى —
أمام المذبح فى سنت إدمند سبرى ،
أجل نفس المذبح الذى حلفنا لكم عنده
يمين الصداقة والمحبة الأبدية .

سالسبورى : أهذا ممكن ؟ أهذا صدق ؟

ميلون : ألست الآن فى مواجهة الموت الذميم ،
وليس فىّ من الحياة إلا بقية
تنسكب بسرعة ، كأنها شمع يتحول عن صورته
أمام النار اللافحة ؟
فأى شىء فى العالم يدعونى اليوم لأن أخادعكم ،
وليست هناك فائدة أجنيها من الخداع ؟
لماذا أكذب إذن مع أنى لا ألبث أن أموت هنا ،
ونجاتى من عذاب الله بعد ذلك مرهونة بالتزام الصدق ؟

أعيد ما قلته : إذا انتصر لويس اليوم ،
فإنه يكون حانثاً فى يمينه إذا قدر لعيونكم هذه
أن ترى الفجر يطلع من الشرق مرة أخرى ،
بل حتى فى هذه الليلة
التى أخذ نسيمها الخبيث يرسل الدخان حول قرص
الشمس العجوز ،
بعد أن أدركها الوهن وأعياها سير النهار ،
بل فى هذه الليلة الليلاء ، ستخمد أنفاسكم ،
وتجزون نظير غدركم الدنىء
بغدر آخر هو أرواحكم جميعاً ،
إذا ما أحرز لويس النصر بمساعدتكم .
بلغوا سلامى إلى رجل يسمى هوبرت يصاحب مليككم ،
إن ما أكن له من المحبة
إلى جانب انتسابى إلى جد من الإنجليز ،
هو الذى أيقظ ضميرى ، وجعلنى أعترف بكل هذا
وفى نظير ذلك أرجوكم أن تحملونى من هنا ،
بعيداً عن جلبة الميدان وضوضائه ،
حيث أستجمع البقية الباقية من أفكارى فى هدوء
وسلام ،

وحيث يتاح للروح والجسد
أن يفترقا وسط التأمل والخشوع .

سالسبورى : ليس لدينا شك فى صدقك ،
وتعس جدى إن لم أرحب بهذه الفرصة الجميلة
وهذه الطريقة التى تمكننا
من أن نعود أدراجنا بعد هذا الفرار الشائن ،
لقد كنا كالنهر الذى قل ماؤه
وأصبح راكداً آسناً ،
فاليوم نخترق الحواجز ونغادر المجرى غير السوى ،
ونجرى فى وادينا طائعين ،
إلى بحرنا المحيط ، إلى الملك چون العظيم .
سأسندك بذراعى وأعينك على الرحيل من هنا ،
فإنى أرى فى عينيك آلام الموت القاسية ،
هلم أيها الأصدقاء إلى الفرار الجديد ،
وحبذا هذا الفرار الجديد ، لإحقاق حق قديم .

(يخرجون وهم يسندون ميلون)

الفصل الخامس

المنظر الخامس

المعسكر الفرنسى

(يدخل لويس وحاشيته)

لويس : كدت أظن أن الشمس لا تريد أن تغرب ،
بل تود أن تبقى لتكسو الأفق الغربى بحمرة الخجل ،
عندما خلى الإنجليز مواقعهم متراجعين متخاذلين ،
ولم يكن بد من أن نفض المعركة .
فبعد أن أطلقنا قذائفنا دون جدوى ،
عدنا إلى سكون الليل ، بعد ذلك المجهود الدموى العنيف
وطوينا راياتنا الممزقة ،
وكنا آخر من غادر الميدان ، وقد كدنا أن نكون سادته .

(يدخل رسول)

الرسول : أين مولاى الأمير ؟

لويس : هنا ما الخبر ؟

الرسول : قتل الكونت ميلون ،

وتخلى عنك اللوردات الإنجليز بتحريض منه ،
والإمداد الذى طال انتظارك له ،
قد تحطم وغرق على رمال جودون .

لويس : يا لها من أنباء سيئة محزنة ، فتبًّا لها وسحقاً !
لم أكن أحسب أنى سأعانى من الحزن الليلة بقدر ما أثارته هذه الأنباء .
من ذا الذى أبلغنى اليوم
أن الملك چون لاذ بالهرب ،
قبل أن يفرق ظلام الليل بين جيوشنا المجهدة بساعة أو ساعتين .

الرسول : الخبر صحيح ، أيًّا كان مصدره .

لويس : حسن . عليك أن تشدد المراقبة والحراسة فى هذه الليلة ،
وسأسبق الفجر
لكى أدبر شئون الغد .

(يخرج)

الفصل الخامس

المنظر السادس

أرض فضاء بالقرب من ديرسوينستد

(يدخل الدعى وهوبرت كلاهما على انفراد)

هوبرت : من هناك ؟ تكلم يا هذا ، تكلم بسرعة ، وإلا رميت .

الدعى : أنا صديق ، فمن أنت .

هوبرت : من فريق إنجلترة .

الدعى : وأين تذهب الآن ؟

هوبرت : ماذا يعنيك من هذا ؟ (سكون لحظة) ومالى
لا أسأل عن شئونك أنت
كما تسأل عن شئونى ؟

الدعى : إنك هوبرت فيما أظن .

هوبرت : صدق ظنك ،
وإنى لأرجح ، على الرغم من جميع الاحتمالات
أنك صديق ، مادمت قد عرفت صوتى بهذه السهولة ،
فمن أنت ؟

الدعى : أنا من تشاء ، وتستطيع إذا شئت

أن تصادفنى ، وحتى تتبين أن نسبي
يتصل من أحد طرفيه بأسرة بلانتاجنيت .
هوبرت : ويل لذاكرتى الرديئة ، لقد خانتنى هى وهذا الليل البهيم ،
أيها المحارب الباسل اصفح عنى ،
إذا كانت أذنى
عجزت عن تمييز نبرات صوتك .
الدعى : لا داعى لتبادل الثناء . وقل لى ما لديك من الأنباء ؟
هوبرت : عجباً لقد خرجت الساعة فى جنح هذا الليل المظلم
لكى ألقاك .
الدعى : إذن قل وأوجز ، ما لديك .
هوبرت : أنبائى ، أيها السيد الكريم ، تحاكى هذا الليل البهيم :
سوداء مخيفة ، تبعث القلق والرعب .
الدعى : أطلعنى على أسوأ هذه الأنباء ،
فلست امرأة ، ولن يغمى على منها .
هوبرت : أخشى أن يكون أحد الرهبان قد دس للملك سمًّا ،
وقد تركته لا يكاد يستطيع النطق ،
وانطلقت لأنبئك بهذا الخبر المشئوم
حتى تعد لهذا المأزق عدته ،

خيراً مما تستطيع لو جاء الخبر متأخراً .

الدعى : وكيف تناول السم ؟ ومن الذى تذوق طعامه[١] ؟

هوبرت : إنه أحد الرهبان : وأؤكد لك أنه وغد لئيم ،
وطد العزم على الإثم ، وقد انفجرت أحشاؤه فجأة .
أما الملك فما زال به رمق ، ومن الجائز أن يشفى .

الدعى : ومن خلفت وراءك ليرعى جلالته ؟

هوبرت : ألم يبلغك الخبر ؟ إن النبلاء قد عادوا جميعاً ،
واصطحبوا معهم الأمير هنرى ،
وقد صفح الملك عنهم بناء على رجائه
وهم جميعاً حول جلالته .

الدعى : ردى عنا نقمتك أيتها السموات العلى ،
ولا ترهقينا بما لا نطيق احتماله !
اعلم يا هوبرت أن جيشى أدركه المد فى هذه الليلة ،
فابتلعت أمواج لنكلن[٢] نصفه .
وأنا نفسى ، على الرغم من ركوبى جواداً طيباً ،

---

(١) إشارة إلى تناول أحد الأشخاص الطعام قبل الملك ، للتأكد من خلوه من السم .

(٢) مقاطعة لنكلن على بحر الشمال ، حيث سهولة الأرض تجعل سير المد سريعاً فجائياً خطراً .

لم أنج إلا بشق النفس ،
سر أمامى الآن وأرشدنى إلى حضرة الملك
لعلى أراه قبل أن تدركه منيته .

(يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر السابع

بستان فى ديرسوينستد

(يدخل الأمير هنرى وسالسبورى وبيجوت)

الأمير هنرى . لقد قضى الأمر وتسرب الفساد إلى كل ما فى دمه
من عناصر الحياة ومخه النقى ،
الذى يعده البعض مقرًّا للروح ،
لا يوحى إلا بعبارات فاترة
تنذر باقتراب الأجل .

(يدخل پمبروك)

پمبروك لا يزال جلالته قادراً على الكلام ،
ويرى أنه لو حمل إلى الهواء الطلق ،
فإن ذلك قد يلطف
من حرارة ذلك السم القاتل الذى يؤذيه .

الأمير هنرى : دعهم يحملوه إلى البستان هنا ؛

(يخرج بيجوت)

ألا يزال يهرف ويهذى ؟

پمبروك : إنه أكثر هدوءاً

مما كان وقت أن تركتموه ، ومنذ لحظة كان يغنى .
الأمير هنرى : يا لتقلب المرض !
إنه ينتقل بالمريض من النقيض إلى النقيض وهو لا يدرى .
والموت يتغذى أولا بالجوارح الظاهرة ،
ثم ينتقل عنها خفية ، وهو الآن يحاصر العقل .
وقد أخذ يطعنه ويجرحه بأسلحة من الأوهام الغريبة ،
وهذه لا تلبث فى تزاحمها وتدافعها نحو هذا المعقل الأخير
أن تضطرب وتتلاشى .
ومن عجب أن يبعث الموت على الغناء .
وحسبى أنى أنا الفرخ لهذه البجعة الشاحبة :
التى تترنم بأنشودتها الحزينة قبل موتها ،
وتغنى بصوتها الخافت أغنية
تبعث بها الراحة الأخيرة لجسمها وروحها[1] .
سالسبورى : تجلد أيها الأمير ، فإنك ما ولدت
إلا لكى تصلح وتنظم هذه الأمور المضطربة ،
التى خلفها فى فوضى واختلال .

---

(١) خرافة مشهورة عن البجعة التى تغنى قبل موتها .

(يدخل الأتباع يحملون الملك چون فى كرسى ومعهم بيجوت)

الملك چون : أجل لعمرى ! إن روحى الآن تجد مجالا تتمدد فيه .
فلم تكن ترضيها النوافذ أو الأبواب ،
إن فى صدرى قيظاً بلغ من شدة حره
أن جعل أحشائى تتفتت كالتراب .
وقد أصبحت كأنى صورة
رسمت خطوطها على رق ينكمش
من مس هذه النار الموقدة .

الأمير هنرى : وكيف حال جلالتكم ؟

الملك چون : مسموم ، سيئ الحال ، ميت ، مهجور ، منبوذ ،
وليس بينكم واحد يريد أن يأمر الشتاء أن يأتى
ويدخل أصابعه الثلجية فى معدتى ،
أو يجعل أنهار المملكة تحول مجراها إلى صدرى الملتهب ،
أو يلتمس من ريح الشمال أن ترسل تيارها القارس ،
ليقبل شفتى الذابلتين ،
وترفه عنى ببرودتها .
وليس ما أسألكم بالشئ الكثير ، أنى أريد ترفيها يسيراً ،
فلا أصيب منكم سوى الشح والتكران وتأبون على هذا
المطلب اليسير .

الأمير هنرى : ليت فى دموعى علاجاً ناجعاً يخفف ما تعانيه .
الملك چون : إن ما فيها من الملح حار
وفى باطنى جحيم ، وقد كمن فيه السم
كالشيطان يستبد بدمى
الذى لا خلاص له من قبضته .
(يدخل الدعى)
الدعى : أكاد أحترق بسبب الحركة العنيفة .
وإسراعى الشديد لرؤية جلالتكم .
الملك جون : يا ابن العم ، أتيت فى الوقت الملائم لتغمض عينى .
إن نياط القلب تمزق وتحترق .
والشراع الذى تسبح به سفينة الحياة ،
بات مهلهلا ، لم يبق منه غير خيط واحد ،
وقد تشبث قلبى بهذا الخيط ليستبقى العمر لحظة أخرى ،
لكى أسمع أنباءك .
وبعد ذلك يستحيل كل الذى تراه الآن
إلى كتلة من الطين تحكى صورة ملكية مضطربة الملامح
الدعى : إن ولى عهد فرنسا يتأهب للزحف إلى هنا ،

والله سبحانه يعلم كيف يكون لقاؤنا إياه ،
فإنى فى ليلة واحدة فقدت زهرة جيشى ،
حين حركت قواتنا إلى موقع ممتاز ،
فأغار علينا تيار المد فجأة
وأهلكها على بكرة أبيها .
(يموت الملك)

سالسبور : إنك تلقى بهذه الأنباء الخطيرة فى أذن لا تعي .
مولاى ! سيدى ! الآن كنت ملكاً ، والآن صرت هكذا !

الأمير هنرى : وأنا كذلك سوف أجرى شوطى ، ثم أقف هكذا ،
فأى أمان فى العالم ، وأى أمل ، وأى ثبات ،
إن كان هذا منذ لحظة ملكاً ، والآن قطعة من صلصال .

الدعى : أكذا نذهب ، ؟ مابقائى بعدك
إلا لتنفيذ أمرك بالانتقام
وبعد ذلك تقف روحى فى خدمتك فى السماء ،
كما كانت ، على الدوام ، مكرسة لخدمتك على الأرض .
وأنتم أيتها الكواكب التى تدور فى فلكها القديم ،

أين ما فيكم من بأس وقوة الآن ؟ أرونى الآن وفاءكم
وإخلاصكم للحق بعد رجوعكم إلى الصواب ،
وعودوا معى الساعة ،
لكى نرد الخطر ونطرد الدمار والعار الأبدى
عن أبوابنا وبلادنا المهيضة الجانب .
لنهجم فوراً عليهم ، وإلا هجموا فوراً علينا .
فولى العهد الفرنسى يتعقبنا مسرعا .

سالسبورى : يبدو لى أنك لم تعرف بعد ما نعرفه ،
إن الكردينال پاندولف ، وهو يستريح الآن فى الداخل ،
قد جاء منذ نصف ساعة من قبل ولى العهد ،
يحمل منه عروضاً للصلح ،
نستطيع قبولها دون مساس بشرفنا وكرامتنا ،
وهى ترمى إلى إنهاء هذه الحرب فوراً .

الدعى : لعله يكون أكثر رغبة فى السلم
إذا رآنا أحسنا التأهب للدفاع .

سالسبورى : كلا ، إن السلم أصبح فى حكم المقرر ،
لأنه أرسل الكثير من مركباته إلى الساحل ،
ووضع قضيته وخصومته بين يدى الكردينال ،

ليقضى فيها بما يشاء .
فإن شئت ذهبنا أنا وأنت واللوردات
للقائه عصر اليوم ،
لكى نتم هذا الأمر بنجاح .

الدعى : ليكن الأمر كذلك . وليتفضل الأمير الكريم
بالإشراف على ما يجب لجنازة والدك العظيم من التكريم ،
ومعك من تيسر حضوره من الأمراء .

الأمير هنرى : يجب أن يدفن جثمانه فى وُستر ،
فقد كانت هذه وصيته .

الدعى : إذن فلينقل إلى هناك
ولتتقلد يا مولاى ، بالسعادة واليمن ،
إرثك الشرعى ، ومجد بلادك التليد ،
وإنى — بكل خضوع — أركع على ركبتى ،
لكى أضع تحت قدميكم
خدماتى وإخلاصى وخضوعى الدائم .

سالسبورى : ونحن كذلك نقدم وفاءنا ومحبتنا ،
التى لن تشوبها الدهر شائبة .

الأمير هنرى : إن لى روحاً ودوداً تريد أن تشعركم بشكرها ،

ولكنها لا تستطيع التعبير عن ذلك إلا بالدموع .
الدعى : جدير بنا الآن ألا نستسلم للحزن ،
فقد كابدنا من قبل أشد ما يبعث الأحزان .
إن إنجلترة ما كانت يوماً ، ولن تكون ،
طريحة تحت أقدام الفاتحين الطغاة ،
إلا إذا هى أعانت على التنكيل بنفسها .
والآن وقد عاد إليها نبلاؤها ،
فإنا نستطيع أن نلقى ثلاثة أركان العالم
مدججة بالسلاح ، فندمرها تدميراً .
أجل لن يكون فى العالم شىء يضيرنا ،
ما دامت إنجلترة مخلصة لنفسها .

(يخرجون)